الجامع الثاني

بيان من روح القدس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله النفس المتعالية ، و الصلوة و السلام على النبي و آله النجوم الهادية .
منك ربّي أستنزل الماء ، و أسألك اللهم ربنا أن تنزل علينا مائدة البيان من السماء .
قلبي في وجه الله متفاني و عقلي في ملكوت الله لا يماري .
شمسك مشرقة و لكن هل القلوب هل متوجهة .

-.-

العوالم أربعة ، النفس المتعالية ، و الملكوت ، و الآفاق و الأنفس .
النفس المتعالية هي الوجود الواحد العظيم اللامتناهي ، أصل كل شئ و المحيط بكل شئ .
الملكوت هو محل الروح و الملائكة و النور و النبوة منه تشرق ، و هو الغيب .
الآفاق هو محل الصور و الأجسام ، و هو الشهادة .
الأنفس هي مجمع العوالم الثلاثة و محور الخلق و الغاية فيه .
و ليس وراء هذه العوالم الأربعة شيئ ، و إنما يعلم و يعرف من أحاط به .

-.-

لا يترجح أحد الممكنات على الآخر إلا بمُرجّح ، فمن كان في إمكانه أن يقوم أو يقعد أو يجري و لابد له من تعيين أحد هذه الممكنات إذ يستحيل أن يكون قائما و قاعدا في نفس الوقت ، فلما يختار أحد الاحتمالات و يرجّحه على صاحبه فهذا السبب الذي جعله يرجّح هذا الاختيار هو المرجّح ، و كلما زادت قدرة المختار و علمه و حكمته زادت عظمة سبب ترجيحه للاحتمال المعيّن .
تزداد المعرفة بالشئ بازدياد مقارنته مع غيره ، فمن يقرأ كتابا في موضوع ما ، ثم يقول عنه أنه لا بأس به ، فيذهب و يقرأ خمسة كتب أخرى في نفس الموضوع إن سُئل عن الكتاب الأوّل سيتغيّر حكمه ، فإن قرأ عشرة كتب أخرى ستزداد دقة حكمه على الكتاب الأول .
من كان علمه أرقى و حكمته أوسع كان كلامه أدق و أعمق . فهل كلام السفيه ككلام الفقيه ، و هل كلام النبي ككلام الله العلي .

-.-

كتاب الله سور ، و السور آيات ، و الآيات كلمات ، و الكلمات حروف ، فأساس كتاب الله العلم بماهية الحروف ، ثم العلم بمعاني الكلمات ، ثم العلم بدلالات تركيب الحروف و الكلمات . و إنما المقصود هو العلم و ليس غير العلم .
الحروف العربية ثمانية و عشرون حرفاً ، أربعة عشر حرف قوّة ، و أربعة عشر حرف ظلمة . و حروف القوة هي فواتح السور ، و حروف الظلمة هي الباقي . و حروف الظلمة على درجتين ، سبعة و سبعة ; السبعة الأولى هي التي وردت في سورة الحمد ، و الأخرى لم ترد . و عدد أحرف القوّة هو عدد مرات تكرارها : فحرف النون لم يرد في فواتح السور إلا مرة واحدة فعدده واحد و هكذا ، أما أحرف الظلمة فهي في أحد الاعتبارات تعبّر عن الباطل الذي لا حقيقة له فعدده صفر ، لا شئ ، و لكل حرف معنى أو أكثر ، مثل حرف النون هو في أحد اعتباراته رمز على الحوت " و ذا النون إذ ذهب مغاضبا " و قال " و لا تكن كصاحب الحوت " (أقول : و كل حرف رمز على نبي . "يونس") . و تأمل أن الآية الثانية وردت في سورة القلم المباركة التي فاتحتها "ن و القلم و ما يسطرون" ، و كلما عَظُم البناء عَظُم حجر بنائه بنفس نسبة عظمة البناء ذاته ، إذ هل البناء غير الحجر و الهندسة التي تركّب الحجر و تحسن تأليفه

لغاية ما ، فبما أن حجر بناء القرآن كتاب الله العزيز العليم هو الأحرف العربية المباركة فعظمة العلم المكنون فيها يتناسب و عظمة العلم المكنون في آيات القرءان نفسه ، فتبارك الله أحسن الخالقين .
كتاب الله نزل باللسان العربي ، فمعاني كلماته يجب أن تستمد ي الأصل من أهل هذا اللسان المبارك، و لكن بما أن القرآن تنزيل الحكيم العليم و دقّته متناهية في الشدّة ، و بما أنه ليس لأهل هذا اللسان مؤلفات وضعوا فيها معاني الكلمات اللهم إلا شئ من الشعر المروبي أكثر منه مكتوب ، هذا إن كان قد كُتب شئ أصلا ، و كان الشعر ليس دقيقا في إبراز المعاني بالدقة التي في القرءان العظيم ، فترى الشاعر إن كانت قصيدته قافيتها فائية قال سيف ، و إن كانت ميمية قال حسام ، فالشعراء يجعلون الظاهر و المبنى هو السيد و المعنى هو العبد . أما في الحقيقة الربانية فإن الأمر من الغيب إلى الشهادة ، من الباطن إلى الظاهر ، من المعنى إلى المبنى ، فيجب أن يكون اللفظ عبد المعنى ، و لذلك نفى الله أن يكون القرءان قول شاعر ، حتى يعلم الناس أن كلماته علم و ليست محسّنات و بديع و ما شبه ، فلا يُسلّم معنى الكلمة لما يقوله الشعراء أبدا إلا بأن يشهد أربعة منهم على هذا المعنى أو يشهد القرءان نفسه لهذا المعنى ، بقصصه و سياقه ، أو يظهر العقل أن ما قيل في المعنى الذي جاء به الشاعر لا بأس به من حيث ما يعلّم القرءان بوجه عام ، أو أن يشهد اثنان من علماء اللسان العربي الذين لا يقولون بالترادف بل يدركون التبيان بين ما يظن العوام أنه ترادف ، و لا يقولون أن المعاني خدم المباني بل الألفاظ هي الوسيلة لإيصال المعنى و لذلك و لذلك فقط وضعت الكلمة المعينة بدل الاحتمالات الكثيرة التي كان بالإمكان وضعها بدلا منها . (أقول : وضع اللغة قبل استعمالاتها ، فلولا وجود الوضع لما فهمنا أقوال الشعراء أصلا) .

-.-

الماء لا لون له في الحقيقة بل لونه الصفاء التام ، و لكنه يتلوّن بحسب الإناء الذي يُسكب فيه إن كان الإناء متلونا ، و لكن الإناء الزجاجي الصافي يُظهر الماء على حقيقته التي هو عليها ، كذلك القرءان ، يجب على من يريد أن يتعلمه أن يقرأه و هو يريد أن يتعلّم منه لا أنه يريد أن يقرر مذهبه منه أو به ، بل نتعلّم من الله ، نذهب إليه برغبة صافية لنتعلّم ما يريد هو أن يعلمنا ، كالكأس النظيف ذي الزجاج الصافي ، نظافته تبقي الماء طاهراً إذا سُكب فيه ، و صفائه يُرى الناس حقيقة الماء الذي يحتويه . "و أنزلنا من السماء ماءً طهورا" .
السؤول قبول ، ففي العالم الجسماني إن أراد أحد أن يأخذ شيئا ليس في متناول يده يجب عليه أن يتحرك بجسمه إلى هذا الشئ و يأخذه، هذا من حيث الأصل، لأنه بجسمه في مكان و هذا الشئ الذي يريده في مكان آخر فيجب أن يتحرك من مكانه إلى المكان الآخر ، أما في العالم الباطني فبما أن الطلب إما وجه الله و إما نوره ، ووجه الله هو ليس مكان واحد "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" فهو في كل مكان على السواء إذ هو الواحد الأحد جل و علا ، و نور الله "زيتونة لا شرقية و لا غربية" فبما أنه لا جهة لها فهي في كل جهة ، فهي في كل مكان على السواء ، إذن فلا فرق بين هنا و هناك لطالب الباطن الحق ، "و هو معكم أينما كنتم " ، و الذي يحدد ماذا تأخذ من نوره هو رغبتك ، في ماذا ترغب فهذا تأخذ ، و سؤالك هو الذي يعبّر عن رغبتك لا مجرّد تحرّك عواطفك ، و اجتهادك يعبّر عن سؤالك، مثل ذلك كالشمس المشرقة ، الذي يقبع في غرفة تحت الأرض لا حظ له منها ، و الذي يجلس في غرفته و يفتح نافذته يصيبه من نورها ، و الذي يذهب إلى البحر و يدهن نفسه بالزيت يصيبه شئ عظيم منها ، و هي شمس واحدة في ساعة واحدة ، في قرية واحدة ، و لكن باختلاف حال الناس و أعمالهم يختلف قبولهم لنورها ، و متى قرر هذا القابع تحت الأرض أن يصعد إلى الأعلى و ينفتح على الشمس

تكون الشمس قد أعطته في نفس لحظة خروجه من الظلمات ، و هي ما زالت تعطيه نورها حتى و هو تحت الأرض و لكنه هو ساتر نفسه عنها ، تعطيه و هو يرفض القبول ، فهل يلوم الشمس ، أم هل يحسد هذا الذي يجلس على شاطئ البحر ، ما لك لا تصعد و تذهب إلى حيث ذهب صاحب البحر فيصيبك نفس ما يصيبه من النور ، و لذلك قال الله "و آتاكم من كل ما سألتموه" و لم يقل "و سيؤتيكم من كل ما ستسألوه" و إنما بالماضي لتعلم أنه متجلّ لك بكل شئ و لكن عدم قبولك هو لعدم سؤالك ، فسل تُعط و ادع تُجب .

أحسن من يعلمك معاني الكلام هو المتكلم نفسه ، و إنما يمنعك أن تتعلم من صاحب الكلام نفسه لو كان ميتا أو غائبا أو أخرسا أو محجور عليه ممنوع من الكلام ، فلو كان حيا لا يموت ، و حاضرا لا يغيب ، و كلّم موسى تكليما و عزيز حكيم لا يُسأل عما يفعل و هم يُسألون ، فحريّ بك أن تطلب العلم من أهله .

أسألك ربي أن تعلمني كتابك فإني فقير إلى بيانك . و سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

-.-

"سنريهم ءاياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد " . لما جعل الله أوّل عالم يُرى فيه آياتة المباركة دلّ ذلك على أن عالم الافاق ، عالم الصور و الأجسام ، هو المعبر لعوالم النفس و الملكوت و النفس المتعالية . كتأويل الرؤيا ، صورة وراءها معنى ، و ليس يُعرف المعنى إلا من أحسن في تدبر الصورة و ما تشير إليه من معاني مجردة ، فسبع بقرات سمان صورة و لما نظر فيها يوسف و عبر من التشخيص إلى التجريد . رأى "تزرعون سبع سنين دأبا"، ما علاقة البقرة بالسنة ، هذا هو علم تأويل الأحاديث الذي يختصّ الله به من يشاء من عباده ، فمن شاء أن يتعلم من الله فليسأل الله و يجتهد ، و إن الله وصف القرءآن بقوله "أحسن الحديث" ، فالقرءآن كالرؤيا ، و لذلك أكثره قصص و أمثال ، بل كله أمثال ، و بذلك يكون القرءآن هو أعظم مُعبّر عن العوالم الأربعة ، و أعظم معبّر عن أمر الله " ألا له الخلق و الأمر تبارك الله رب العالمين " .

"هو الذي أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها " تأمل في هذا المثل المبارك ، واد عريض عميق ، و حفرة صغيرة ، في نفس المنطلقة ، نزل المطر من السماء و ما زال ينزل ، فامتلأت الحفرة في دقائق معدودة ، أما الوادي العريض العميق فما زال لم يمتلئ بعدُ بل ظل يقبل الماء حتى امتلأ بعد أسبوع ، الماء واحد ، و السماء واحدة ، و لكن بحسب سعة الحفرة و عمقها تكون سرعة امتلأها ، كذلك القرءان ، قد يظلّ العالم في آية واحدة سنة لا يفرغ من علمها و استنباط المعارف و الأحكام منها ، و نفس الآية يقرؤهاآخر في ثوان معدودة و لا يرى فيها شيئا بعد ذلك ، فصاحب الحفرة عليه ألا يعترض على صاحب الوادي العميق أو يحسده على سعته ، أو ينكر عليه كل ما فيه من الماء و يرميه بالتهم و الافتراءات السيئة ، إن أردت أن يكون لك مثل وادي صاحبك فاذهب و تعلّم منه ، و على العالم ألا يرضى إلا بالتعمق و باب ذلك الحلم و حسن الخلق ، و الانصراف عن الخلق بالحق ، و حسن النية في طلب العلم و الصدق ، تعلّم القرءان لأن الله يحب أن تتعلّم منه و تحيى حياتك معه ، و تعلم القرءان بفرحة عظيمة فإنه كلام الله رب العالمين ، و أعظم تنزيل ، افرحوا يا أمة القرءآن ، افرحوا به ، افرحوا بالله الذي نزل عليكم الكتاب ، و تعلموا من بعضكم البعض ، و لينفق كل مما آتاه الله ، فإنه من علّم آية علمه الله عشر آيات إلى ما شاء الله ، و لا ينكر عالم على عالم فإن في القرءان علم كثير . و الحمد لله رب العالمين .

-.-

كل حركة و سكنة يقوم بها الإنسان بإرادته هي فرع أصله في رأسه ، و القرار الذي يتخذه ليتحرك أو لا إما مبني على علم أو على جهل ، و الجهل إما الهوى أو هو نفسه لا يعرف لماذا اتخذ القرار المعين ، و لا نحب الجهل ، إذن فالعلم هو سبب أحسن القرارات ، أصل حيوة الإنسان المخلص هو العلم ، فكل يما جب أن يوجّه اللإنسان يجب أن يكون علما ، و لا شأن للإنسان في غير العلم . حتى المشاعر تكون مبنية على معلومة في رأس صاحبها ، حتى لو لم يدرك هو ذلك ، و يمكنه تغيير المشاعر بتغيير المفاهيم، فترى المرء يخاف من الموت و لكن إذا صار عنده يقين علمي بأنه سيدخل إلى جنة عظيمة و يجعله الله فيها ملكا مخلدا إلى الزبد تراه يحب الموت أكثر من الحيوة ، بل لعله يصبح يخاف من الحيوة لأنها قد تكون سببا لأن يخلّد في النار و العياذ بالله ، فهذا معنى تتغير المشاعر بتغيّر المفاهيم ، فالعلم أصل الأعمال و المشاعر ، فالقرءان كله علم و لا يوجد فيه ما لا فائدة منه و ما لا يعلّم الإنسان و يرفعه .

-.-

إن النفس المتعالية من حيث الهوية قبل كل شئ و بعد كل شئ و فوق كل شئ و عين كل شئ ، بل هي كل شئ ، بل هي و لا شئ ، "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " ، و إنما الخلق هو من حيث الأسماء الحسنى ، و الأمر وحدة فلا تغفل ، فبالأسماء الحسنى خُلق الخلق ، و عوالم الخلق ثلاثة ، الملكوت و ربّه الله ، و الآفاق و يحكمه الرحمن ، و الأنفس و يحكمه الرحيم ، أي العالم مظهر لهذا الاسم، و الكل واحد من حيث الهوية ، و لكن الاسم ليعبّر عن العالم ، فإذا قالت مريم "إني أعوذ بالرحمن منك" فهذا يدل أن ما يقع معها هو في عالم الآفاق الجسماني و ليس في العالم الملكوتي أو النفسي . فقد نظرت إلى الرسول بعينيّ رأسها الجسماني ، و هكذا معرفة الاسم الذي يذكره القرآن في أمر ما يكشف عن أسرار لا يعلمها من لا يعلم حقيقة الأسماء الحسنى ، و هذا سرّ كن كل سورة تفتتح بقوله "بسم الله الرحمن الرحيم" لتتذكر أن كل آية و كلمة لها اعتبارات لتظهر لك العوالم كلها ، فافهم هذا جيدا و اذكره دائما .

-.-

الشئ المركب الذي تريد أن تفهم مكوناته و سرّ تكوينه يجب عليك أولًا أن تنظر إليه نظرة عامة كاملة من حيث تركيبه و هو مركب ، ثم إذا أحطت بمظهره الخارجي و صورته العامة تبدأ تُفكّكه إلى أجزائه المُركّب منها. و تدرس الأجزاء جزءا جزءا ، ثم ذلك يجعلك تفهم أكثر سرّ تركيبه بالشكل الذي رُكّب عليه . كذلك السورة المباركة ، أولا انظر إلى آياتها و عما تتحدث ، آية آية ، و مقطع مقطع ، ثم بعد أن تفهم مقاطع السورة تبدأ بتدبر المقاطع المكونة من آيات أو آية ، ثم بعد أن تفهم الآيت تبدأ بتدبر الآية الواحدة كلمة كلمة ، ثم بعد أن تفهم الكلمات تبدأ بتدبّر الحروف حرفاً حرفاً ، ثم بعد كل هذا ترجع إلى السورة بشكل عام و تنظر إليها ، ووقتها تكون السور قد تجلّت لك بجلالها و جمالها ، و هذا هو الأحسن ، و ليس شرطا أن تقوم بهذا ، و إنما ذكرته لمن أراد أن تكون له طريقة محددة .

———...———

{ سورة الكوثر }

أترى لو أن ملكا فتح خزائنه ، ما الذي يمنعك أن تأخذ منها ما تشاء حتى تصبح غنياً ، إما أن الملك أمرك أن تأخذ بقدر معين فقط و لا تزد عليه ، و إما أنه أذن لك بأن تأخذ ما تشاء و لكن بقدر ما تستطيع أن تحمل ، و إما أن يكون المأذون له أعمى لا يرى الجواهر ، و إما أن المأذون له يرى الجواهر و لكنه مسجون و مربوط بسلاسل و أغلال تمنعه من حرية الحركة فهو يرى و لكنه لا يملك أن يأخذ و

يغنى . فاعلم أن الله أنزل كتابه العزيز ، و قد جعله بين يديك ، و فتح لك خزائنه ، و بقدر ما تسأل بقدر ما تُعطى ، فهذا من طرف ربك قد كتبه و فرغ منه ، أما أنت فعليك أن تجتهد لترى الجواهر و لتتحرر من قيودك التي تمنعك من الانتفاع بهذه الجواهر . و لذلك قال " إنا أعطيناك الكوثر " هو عندك ، و لكن كالشمس و إن كانت مشرقة لا ينتفع بها الأعمى و لذلك إن أردت الانتفاع بها "فصل لربك" لأن الصلوة نور البصيرة ، و حتى و إن أصبحت ترى فهل تنفعك الشمس المشرقة لو كنت مسجونا داخل قبل ، و لذلك "و انحر" الهوى بكل مظاهره السيئة لأنها تقتل القلب كما يقتل السمّ الجسم ، فإن أصبحت من مظاهر الملكوت و الحق ، فإن الذي يبغضك و يكره شؤونك و أعمالك ألا يكون على باطل ، و عابد الباطل لا ذكر له في الملكوت ، و الذي يكره الغرفة التي فيها نور فإنه و لاشك يحب الغرفة المظلمة و لذلك اعلم "إن شانئك هو الأبتر" و أنت الموصول .

-.-

{ إنا أعطيناك الكوثر }

ثلاث كلمات ، الأولى ثلاثة أحرف ، و الثانية سبعة أحرف ، و الثالثة ستة أحرف ، الكل ١٦ حرفا . ١٤ حرفا نورانيا ، و حرفان ظلمانيان "و" و "ث" .

"إنا" عددها ٢٥ ، "أعطيناك" عددها ٣٢ ، "الكوثر" عددها ٣٠ ، الكل ٨٧ .

نزل القرءان ليعبّر عن العوالم الثلاثة ، الملكوت و هو يصفه على ما هو عليه ، و الأنفس و هو يصفه على ما ينبغي أن يكون عليه ، و الآفاق و هو يصفه على ما هو عليه و ما ينبغي أن يكون عليه . فحتى لو كفر الناس كلهم فإن الملكوت و سكانه لن يتغيروا عن حالهم ، و لذلك القرءآن يصف حالهم حتى يكونوا أسوة حسنة للناس ، و أما الأنفس فإنه يصف حال النفوس و كيف تنتقل من الأسوأ إلى السيء إلى الحسن إلى الأحسن ، و أما الآفاق و هوالعالم الظاهر الجسماني فإنه يصف كيف ينبغي أن يكون حال الناس في أعمالهم ، و على أية أساس يبنوا بلادهم ، و هو الأساس الذي يجمع الناس بغضّ النظر عن حالات أنفسهم راقية أم سافلة .

و إن النفس المتعالية من حيث الهوية لا تكون في شئ دون شئ ، إذ لا شئ بدونها و لا شئ غيرها على التحقيق و العيان ، و إنما تحكم عوالم الخلق الثلاثة بالأسماء الحسنى ، فيشبه الأمر ملكا عنده ثلاث بلدان ، جعل ولاية الأولى إلى أحد أتباعه المخلصين ، و كذلك الثانية و كذلك الثالثة كلهم ، و البلدان الثلاثة هم بلدة واحدة داخلها ولاية و داخل هذه الولاية ولاية أخرى ، البلدة الكبيرة الأولى هي الملكوت و حاكمها اسم "الله" ، و الولاية الثانية التي داخل الأولى ، و الأولى محيطة بها ، هي الآفاق و حاكمها اسم "الرحمن" ، و الثالثة التي هي في الثانية و الأولى حاكمها اسم "الرحيم" ، و الولاية الأصغر تبع للولاية الأكبر ، و الولاية الكبرى تبع للملك . و هذا ما ينبغي أن يكون الحال عليه و المقام ، و السوء يبدأ إذا ثار الناس على حاكمهم و رفضوا ولايته ، فوقتها يرسل الملك من يحذرهم و يرغبهم في الطاعة ، فإن أبوا أرسل إليهم من يحذرهم و يخوّفهم من المعصية ، فإن أبوا أرسل إليهم جنودا تمحقهم ، و يجعل بلاده مفتوحة ليسكنها غير هؤلاء العصاة الذين كفروا النعمة .

فالقرءآن ، كتاب الله ، يعبّر عن حكم النفس المتعالية ، و يظهر إرادتها في العوالم الثلاثة عن طريق حاكم الملكوت ، و لذلك سمّي كتاب الله ، و ليس كتاب الرحمن أو الرحيم ، لأن حاكم الملكوت منه تصدر إرادة

النفس المتعالية ، و لذلك قال "إنا" بالجمع ، الذي هو ثلاثة فما فوق ، الله الرحمن الرحيم، و هذا سرّ كون "بسم الله الرحمن الرحيم" أول كل سورة لتعبّر عن هذا الأمر .

"إنا" الألف الأولى لم و لا تتصل بحرف جاء بعدها ، و إنما الحروف تتّصل بالألف ، و هذا لأن الملكوت ليس تابعا لأحد كما عرفت ، و إنما الناس يجب أن تتبع الملكوت ، لأن الناقص يتبع الكامل ، فإذا أحسن فإنه يصبح كاملا مثله ، و لذلك يسكن معهم إذا فرغ من الجهاد .

"إنا" الألف الأول عددها ١٢ ، و كذلك الأخيرة ، و بينهم النون و هو النور التام الذي يحوي كل شئ و لا يحيط به مخلوق ، يشير إلى ساعات الليل و النهار ، و النون التي بينهما هي السرّ في قلب المتأله ، و هي مقام و قرار عينه في العين العليم ، فلا يتغيّر بتغيّر الأحوال ، و لا يتلون قلبه بسوء الأقوال و الأفعال، إذ هو في المقام العالي ، و القدس المطلق ، و على هذا كن أيها العزيز ، كن في الله يكن كل شئ لك ، و كن بالقرءان و لا تتغيّر لتغير الناس أو الأزمنة ، و من كان على هذا فليبشر بروح القدس (أقول ، في المخطوطة : الروح القدس و هو غلط) .

إن الله إذا أنزل على أحد نورا ابتلاه على قدر هذا النور ، و جعل له الخيار أيريد أن يصعد إلى السماء أم يخلد إلى الأرض ، فمن آتاه الله مالا كثيرا يُطلب منه على سبيل التخيير مالا كثيرا ، و من أوتي علما كثيرا يُطلب منه على سبيل شكر النعمة عملا كثيرا مخلصا ، و كلمة النور تدل على أي كمال ، جسماني أم قلبي أم عقلي أم مالي ، لذلك قال "إنا" فالألف الأولى ذات الهمزة التي أسفل منها تدل على الإنزال من الأعلى إلى الأدنى ، إذ الملكوت محل النور التام و كل كمال منه و إن لم يدر الإنسان بذلك ، و النون في "إنا" هي النور الذي أوتيه هذا الإنسان ، و الألف بذون أي همزة بعد النون تشير إلى هذا الخيار، أتصعد أم تهوي ، الأمر إليك و لا قوة إلا بالله .

فمن صعد فقد عبد ، و من عبد فقد طوى هواه الذي هو إلهه الأول ، و من طوى العوالم الثلاثة إلى النفس المتعاللية و فني فيها و هلك في نار عشقها نودي ، إذ من فني في الذات سمع الكلام إذ الكلام عين النفس ، فإن نكص على عقبه و رجع عن نداء ربه خسر ، و إن جاهد و أكمل السفر و صعد ، نال كلام الله الذي هو الاصطفاء الأعظم ، و من كان الله كليمه فقد أوتي علما كثيرا ، لذلك بعد "إنا" إذا صعد فهي الألف ذات الهمزة إلى الأعلى في "أعطيناك" فهي تشير أنه اختار الصعود ، و هو العابد و هذا حرف العين بعد الألف المهموزة إلى أعلى ، و العابد هو الذي طوى مراحل السفر الروحي ، و هو حرف الطاء بعد العين ، و الذي طوى كل شئ و لم يبق إلا العين الإلهية العلية نوري ، و هو ياء النداء المشار إليها بالياء بعد الطاء ، و من نودي فقد أوتي نورا ، فيجب أن يقع الابتلاء هل يصعد أم يهوي ، و لكنه أخفى من الابتلاء السابق ، إذ السابق في "إنا" ابتلاء ظاهر و هو أخذ الكتاب أم رفضه ، أما هذا فتراه قارئا و مُصلّيا، لذلك قد يخفى عليه أنه في ابتلاء ، و لذلك الألف ليست مرسومة كاملة بل مجرد إشارة فوق النون ، فإن صعد أوتي الكاف و هي رمز كلام الله ، و من كلمه الله أوتي الكوثر و هو العلم الكثير ، إذ ليس للإنسان شأن في غير العلم .

العطاء إما أن يكون بسبب استعداد أو أنه محض اختيار عشوائي ، إن كان من الله رب العالمين ، فالاستعداد كمن يدعو الله أن يعطيه شيئا ، و الاختيار العشوائي كأن يفيق الجاهل الغافل في يوم فيرى نفسه نبيا ، فيشبه الأعمى الذي يريد أن يختار زوجته ، و حاشا المقام المقدس ذلك ، فلا يكون الإمداد إلا بحسب الاستعداد ، فالله يتجلى بكل شئ لكل شئ ، كالشمس ، و لكن حظك من الشمس بقدر تعرضك لها ، أما هي فهي دائما متجلية ، و لولا إعراض الأرض و دورانها أو اختباء الناس لما غالب الشمس بكل ما فيها بقدر ما تحتمل الأرض لحظة واحدة .

قد يكون الكامل من إذا أعطوا نقصوا ، و الناقص يريد أن يأخذ ليكتمل ، أما العظيم فهو الذي لا يحدّه شئ فهو أعلى من كل شئ و في كل شئ فإنه مهما أعطى فلا ينفد ما عنده و لا ينقص في نفسه ، لأن كل شئ فيه ، فهو يعطي مما عنده لنفسه فكيف ينقص أو ينفد ما عنده ، و عطايا العظيم هي من معلومته ، إذ هو يعلم كل الممكنات و الاحتمالات ، و خلق ما أراد منها ، فإذا أراد المخلوق أمر ما ، فإنه و لا شك سيتصور ما يريد ، و إن تصوّر ما يريد فهذا الذي يريده يدخل في حير الإمكان ، و كل ممكن فإنه معلوم لله ، و لذلك لا يسأل أحد الله شيئا إلا آتاه إياه ، إن سأل عن علم ، إن سأل عن جهل فإن الله يؤتيه خير مما طلب حتى يرضى ، و العظيم يعطي فقط و لا يأخذ شيئا و لا يمكن أن يأخذ شيئا ، لأنه لا يأخذ إلا الناقص الذي يريد أن يكتمل بهذا الأخذ ، فالعظيم اللامتناهي الواحد يأخذ كيف ، أم يأخذ ممن ، ممن هم فيه و به ، أما المخلوقات فذاتها الأخذ ، هي فطرتها ، أن تأخذ ، فالعظيم يعطي فقط ، و المخلوق يأخذ فقط في أصل فطرته ، و الإصلاح هو أن يصبح بدل أن يأخذ أنانيته لنفسه يصبح يأخذ لنفسه و ليعطي الآخرين ، و كلما أصبحت تأخذ من الناس أقلّ و تعطي أكثر صرت تتقرب رلى الله أكثر.

أليس أعطاه الكوثر ثم أمره أن يصلّي له ، أليس هذا أخذ ، لا أيها العزيز ، لأنه يقول له ، فصل لربك حتى تنتفع و يصلك هذا الذي أعطيتك إياه ، كما في مثل الشمس الذي ضربناه ، فالشمس إذا تكلمت و هي تتكلم و لكن من يسمع ، لقالت للناس ، إني قد أعطيتكم نوري فمن أراده فليخرج من بيته أو فليفتح نافذته و يبعد الستارة عنها . ولماذا لا يصل النور بدون جهد الناس ، حتى لا يتساوى المجتهد و الكسلان ، و الفاضل و السافل . و لماذا توجد هذه الزوجية ، حتى نعرف الواحد المتعالي عنها . و لماذا تعرف الواحد المتعالي ، هي محض نعمة و قمة السعادة .

إن القرءان لم يقل " إنا أعطيناكم الكوثر " و لكن أفرد و خصص "إنا أعطيناك" لماذا ، إذن الكوثر ليس لكل أحد ، و إنما لأناس اختصّهم الله ، من هم هؤلاء ، هم من يعلمون بقوله " فصل لربك و انحر " .

بما أن الجزاء من صنف العمل ، فما الذي عمله الإنسان حتى يجازيه الله بالكوثر ، لا شك أنه أعطى ، ما هو الشئ الذي إذا أعطاه الإنسان أعطاه الله الكوثر و لمن يعطي هذا الشئ ، أقول أعطى كل وقته للصلوة و التأمل في الله و إخماد نار الشهوات بماء الذكر ، فالذي يعطي حياته لله يعطيه الله من حياته ، و حياة الله هي روحه ، فمن جرّد نفسه من كل ما سوى الله و ذكره و التفكر في أمره أعطاه الله من روحه ، و آية ذلك أن يرى ذكر الله أهم من التنفّس ، و أن يبتسم لكل أحد و يتواضع حتى يكون

كالتراب ، و يكون بسيطا في كل أموره ، و مبدعا في علمه و عمله ، إذ من أحب الله تشبّه به ، و الله أحسن كل شئ خلقه و أتقنه .

إن الله أعطانا الأيام السبعة ، الأسبوع ، لنذكره فيه و نشكره ، و لذلك قال "أعطينك ا و هي سبعة أحرف ، و حرف الكاف ، كلام الله ، هو اليوم السابع ، السبت ، فإن كانت شمس الوحي تبدأ بالإشراق من أول الأسبوع ، فإنها في يوم السبت تكون كشمس الظهيرة ، لذلك فصّل الله فيه ما فصّل ، و أمر فيه بما أمر ، و لما جعل "الكوثر" بعد الكاف ، نعلم أنه لا حظ لمن لا يحفظ السبت في القرءآن .

بما أن القرءان قال "الكوثر" و لم يقل "كوثرا" ، فالفهم أنه أمر معروف كبير شامل ، فلا يخرج منه شئ ، إذ الألف و اللام تشير إلى الاستغراق في المعنى، و تشير كذلك إلى التفرد في النفس ، كقوله "الجنة" ، و بما أن جذر كلمة "كوثر" هو كثر ، تشير إلى الكثرة ، و هنا زيادة تأكيد على ما تشير إليه أل التعريف و الاستغراق ، و بما أن العطاء هو من الرب نفسه بحكم أسمائه الحسنى الثلاثة ، و هي أسماء الحكم ، حكام العوالم ، بل حاكم العوالم ، فإن الكوثر متعلق كذلك بالملك ، إذن "الكوثر" هو الملك الكبير المحيط العظيم .

اَعظم ملك أن يحتوي الملك على ما يملك بحيث لا ينفك عنه بحال ، أما كالذي يزعم أنه يملك دابة أو بيت من حجر فما أسرع زوال مثل هذا ، و على التحقيق ليس مُلكا و لا صاحبه ملكا ، و الملك إما يكون على الغير أو على النفس ، و ملك الغير من الناس فرعنة و طغيان لا ينبغي للعبد الفاني ، و لا يقدر على مثل هذا إلا بأعمال السفك في الدماء و نشر الجهل بالله و أمره ، و فليس هذا بملك لائق بأن يكون عطية الرب العلي مالك الملك ، و ملك الدواب و الحجارة وهم مؤقت ، يكاد يفنى بدنيا أو يزول عنك بموت ، فليس هذا بملك عظيم بل ليس بمُلك على التحقيق ، إذن لم يبق إلا مُلك النفس ، و لكن كيف يملك الإنسان نفسه ، ألسنا كلنا عباد الله و ملكه ، نعم أنت ملك لما لا يملكك أحد من الخلق و أوهامك و خيالاتك السيئة ، عبد الله ملك ، فالكوثر يجعلك الله به ملكا بحق .

يقول سليمان " رب اغفر لي و هب لي ملكا " فقال الله " هذا عطاؤنا فامسك أو امنن " ، فعطاء الله هو للذين يسألونه فقط ، بلسان المقال أو بلسان الحال الصادق ، و أحسن سؤال ما كان مقاله ترجمة لحاله ، و الذي أوتيه سليمان هو فهم عظيم للأمور ، فكلمة فهم لم ترد في القرءان كله إلا مرّة واحدة في قوله "ففهمناها سليمان" ، و ليس فهم أعظم من فهم كتاب الله الذي فيه كل شئ ، و هو باب المدينة المقدسة ، و هل بعد العلم بالقرءان و الله يقول "قل كفى بالله شهيد بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب". فالتوراة ظاهر باطنه الإنجيل ، و رمز الذي فهم التوراة هو عيسى ، فقد أوتي البينات و هي تأويل التوراة ، كما قالوا عن يوسف أنه جاء بالبينات و هو لم يأت بغير تأويل الأحاديث ، و أيده الله بروح القدس (أقول هكذا في المخطوطة صحيحة "روح القدس")، و هو الذي يفهم اله به المخلصين كتابه ، فإذن الكوثر هو روح القدس (غلط "الروح القدس" في المخطوطة) مُفهّم القرءان و الذي يهدي الأولياء إلى العلم الذي فيه و حكم الله الذي يرضيه ، و سُمّي الكوثر لأنه يؤتي من الفهم الشئ الكثير في الوقت القليل ، فالذي يحتاج إليه أهل العقول لفهم أمر من أمور القرءان سنة ، بروح القدس يفهم الولي في ثانية ، إذ " و ما أمرنا إلا وحدة كلمح بالبصر " أو هو أقرب ، و من خبر عرف .

" الكوثر " أربعة أحرف نورية ، و حرفان ظلمانية ، و هذه هي النسبة الصحيحة ، إذ في الحيوة الدنيا، أي حين تكون الغلبة لطُلّاب اللعب و اللهوم و التكاثر ، النسبة هي اثنان لواحد لصالح أهل السوء ، لقوله "غير المغضوب عليهم و لا الضالّين " و أهل النور " أنعمت عليهم " ، أما في الحيوة الآخرة ، أي حين تكون الغلبة لطلّاب الملكوت و العشق الإلهي ، تصبح النسبة اثنان لواحد لصالح الروحانيين ، لقوله "السابقون السابقون أولئك المقربون" و "أصحاب اليمين" ، مقابل "أصحاب الشمال" ، فإذن إذا وجد في بيت أو بلدة أو دولة أن ثلثي عدد أهل البيت يطلبون الملكوت فهذا بيت من الآخرة و الجنة ، و إذا صار ثلثي أهل بلدة ما يزهدون في اللعب و التكاثر الجسماني الشيطاني و يتعلمون القرءان بروح الله فهذه بلدة يحكمها الله نفسه ، و إذا أصبح العالم و ثلثاه يريدون وجه الله و الفناء فيه و الحياة به ، إذ هم أصلا به ، فعدنها يكون قد تحقق وعد الله في العصر المسيحي ، جعلنا الله و إياكم ممن يحيون بين أهل هذا البيت و البلد و العالم .

عدد كلمة "الكوثر" ثلاثون ، و هو رمز على الشهر ، الذي هو من الإشهار ، أي إظهار و إعلان أمر عظيم مشهور معلوم ، والحرف الثلاين في السورة هو حرف النون في "إن" و هو رمز النور التام ، إذ عدده واحد ، و هو من "ن و القلم ". و لقوله " و الله متم نوره و لو كره " الذين لا يؤمنون بروح القرءان ، الذين أصبحت قلوبهم كالحجارة لا ترى إلا شئ واحد ميت ، فإذن الكوثر هو النور التام الذي أعلن و سيعلن للعالمين ، و هو وعده الصادق "ليظهره على الدين كله" إذ لا يختلف الناس إلا بالأجسام ، أما أهل الملكوت فمتوحدين ، و هي نبوة عن يوم يمحي روح القدس فيه كل الأسماء التي فرّقت الناس و يصبح الكل يرجع إلى الله وحده بنفسه ، فيظهر العلم لأكثر الناس حتى لا يستطيع كاهن أن يدلس على الناس، حتى أجهل العوام منهم يكون ممن يجادل المبطل كأحسن العلماء الظاهرين اليوم أمام الناس في دولة حكم الطاغوت ، و لكن عما قريب سيتحقق وعد الله و يحكم الملكوت بنوره التام العجيب إذ "أليس الصبح بقريب" .

هذه الآية هي أول آية من أول سورة من الوحي الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه و آله الذين أيدهم الله بروحه ، و بما أنه في الدائرة نقطة البداية هي عين نقطة النهاية ، فإذن كل القرءآن هو في هذه الآية ، من حيث الأصل ، و هي ثلاث كلمات ، إذ ليس ثمة إلا ثلاثة أمور ، الُمعطي و الُمعطَى و ماذا أعطاه ، الُمعطي هو الرب و الُمعطَى هو العبد و أعطاه العلم الذي به يصير ربّا ، فبالعلم الذي ينزله الله يصير العبد ملكاً، لذلك قال عن الجنة "في مقعد صدق. عند مليك مقتدر" و لم يقل "عند الملك المقتدر"، إذ بهذا يصبح لا يوجد إلا ملك واحد ، و لكن قوله "عند مليك" يدل على أنه سيجعلهم ملوكا، و ليس هذا إلا بالتوراة، فإذن إنما أنزل القرءان ليصبح الناس ملوكا ، و القرءآن تاج الُملك يُلبسه الله لمن لا يرى أحدا سواه و لن يرى الحيوة إلا له و لا يجعل محورا لحياته إلا القرءان ، و هل بعد هذا من عطاء.

عدد كلمة "أعطيناك" هو سبعة أحرف، تشير إلى يوم السبت، يوم الوحي التام، فإن كان الله يعطي ذهب و فضة خلال أيام الأسبوع، فإنه يعطي لؤلؤ او مرجانا في يوم السبت. و هو أيضا عددالكمال ، إذ كمال الخلق و الأمر سبعة أيام ، ستة خلق و واحد "ثم استوى على العرش" لعلّم القرءان الذي هو الأمر، "الرحمن علّم القرءان" "الرحمن على العرش استوى"، و كمال الإنسان في ثلاثة، الجسم و القلب و

العقل، القلب بذكر الله، و العقل بالتفكر في خلق الله، و الجسم بالصلوة لوجه الله و حسن التغذية و الرياضة ، فلن يؤتى العطاء الأحسن إلا من كان في نفسه على أحسن وجه ممكن له .

إخفاء الألف في كلمة "أعطينك" يدلّ على خفاء الواحد الذي يُعطي، فما أكثر ما يضلّ و يشرك المرء بسبب هذا، يأتيه أمر ما ، أو فكرة ما ، أو يظهر على لسانه علم ما ، فيقول "إنما أوتيته على علم عندي"، فلا يكون هذا قول المتأله ، و إنما يقول "ما شاء الله لا قوّة إلا بالله"، و يقول "سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم"، و السرّ في خفاء يد المُعطي هو أنه أظهر من الظهور نفسه، كمثل النور من شدة ظهوره و قربه لا تراه، و عطاء الله في القلب من عين القلب "و نحن أقرب إليه من حبل الوريد" لذلك الذي لا يرى إلا الأجسام أو تغلب عليه رؤية الأجسام لا يفقه عطاءً لا يرى يد صاحبه أمام عيني رأسه، نعوذ بالله من ذلك ، أليس لو كان هذا العطاء من نفسك لكان لكان يجب أن يكون ظاهر لك دائما بنفسك، إذ العطاء الذاتي لا ينقطع لأنه من لوازم الذات، و من رحمة الله أن فرّق بين الكشف و بين التعلم البشري بأنه عكسه، فالكشف أن يؤتيك النتيجة ثم المقدمات ، أما التعلّم البشري فهو تدرّج من المقدمات إلى النتيجة، لذلك لما يعطيك حكمة أنت موقن بالقلب أنها حق، و لكنك ما زلت لا تعلم برهانها من العقل، فلما يأتيك البرهان أو تنتزعه أنت بتأملك وقتها يظهر جلياً أن الحق هو الذي أعطاك الحكمة، ثم إن المتأله لا يرى إلا يد الله ، فليس ما ذكرت من الخفاء إلا لمن ما زال يرى بعين الاثنينية، أما المخلص فلا يرى إلا من الله و إلى الله و بالله و لله ، و لا حول و لا قوّة إلا بالله .

من قوله "أعطينك الكوثر" يتبين أنه على المرء أن ينظر في حاجة المعطي ثم يعطيه بسبب حاجته، لا بحسب ما يشتهي المعطي نفسه، فالعالم عليه أن يُجيب عن مسائل الناس أكثر من أن ينثر عليهم من علم هكذا بدون أن يسأله أحد، كالطبيب ينظر في حالة المريض ثم يعطيه الدواء بحسب مرضه و حاله، أما العالم الذي يشتهي الحديث عن أمر ما و يكون لم يسأله أحد هو كالطبيب الذي كان يدرس خصائص دواء معين فلما جاءه مريض وصف له هذا الدواء، أتريد أن تقتله، لذلك قال الله "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" و لم يقل لعلماء القرءان أن يذكروا ما عندهم بدون حاجة المستمعين إلى هذا العلم ، لأن السؤال يفتح نافذة القبول في قلب السائل، و لا بأس أن يحرّض المستمع على السؤال، كقوله "هل أتاك حديث موسى" فإن المرء يقول رأسا "لا ، ما هو حديث موسى" فعندها تكون نافذة قلبه قد انفتحت لقبول الإجابة. و لذلك قدّم المُعطى على العطاء نفسه، فتخلّق أيها العالم بأخلاق الله.

إذا أخذ أحد كأسا وملأءه من ماء البحر ، أليس يكون الماء الذي في الكأس عين ماء البحر، إذ هو من ذاته ، و هل ترى أن نور الشمس منفصل عن جرم الشمس، أليسوا واحد من حيث الاتصال، و لذلك قال يبيّن سرّ القرءان "إنا أعطينك الكوثر" ، فالقرءان منه فهو متصل به ، فإن تلا أحد القرءآن فإنه يتصل بنفس الروح الأعظم، سيد الملكوت مظهر اسم الله ، فتلاوة القرءان و تعلّمه هي اتصال بالله، لأنه من عين شمس الله و به و لا ينفصل عنه كما أن نور الشمس لا ينفصل عنها.

" و فوق كل ذي علم عليم" .

-.-

{ فصل لربك و انحر }

ثلاث كلمات ، اثنا عشر حرفا ، عددها "فصل" ١٥ و "لربك" ١٨ و "و انحر" ٢٥ أي ٥٨.

ما معنى هذه الفاء ، إذ الله يعطي و لا يأخذ من أحد شيئا، فالفاء لا يمكن أن يكون معناها "كما أنّا أعطيناك الكوثر فجزاءً لنا على هذه النعمة يجب تصلي لنا" ، فالفاء هي لإظهار أنه إن أردت أن تأخذ الكوثر عليك أن تصلّ لربّك و تنحر ، فهذه الفاء هي من أكبر ، إن لم تكن أكبر مظاهر العمل في عوالم الخلق ، و دليل أنه ليس يُعطي المرء إلا ما يستحق من الله ، فمن أصابه شرّ فإنه قد جلبه على نفسه و من أصابه خير فالحمد لله وحده .

ما هي الصلاة ، "فصلّ" هي "صل" بدون الفاء ، و "صل" هي من الصلة و تفيد إقامة صلة بين المصلّي و المُصلّى له ، و إقامة الصلة دليل على عدم وجود هذه الصلة ، فلا يمكن أن يكون المقصود "لربك" أي النفس المتعالية، إذ لا ينفصل عنها شئ حتي يتّصل بها، و هل هناك شئ ليس بها و فيها حتى يتصل بها، " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" ، فقوله "لربك" هو الروح الأعظم حاكم الملكوت، يقول "و جاء ربك و الملك صفا صفا" و قال "يوم يقوم الروح. و الملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن"، فالرب هو الروح الأعظم، لأنه هو المربّي و المُعلّم و المعطي بما جعله الله المتعالي فيه و له، و ليس كل أحد متّصل بالملكوت، حتى و هو حاضر في كل مكان، كما أنه ليس كل أحد يستفيد من الشمس حتى و هي حاضرة مشرقة في كل مكان.

الإنسان قلب و عقل و جسم، و الجسم من عالم الآفاق، و القلب من عالم النفس المتعالية، و العقل من الملكوت، و بما أن الصلوة هي للملكوت إذن وسيلة الصلوة هي العقل، هذا على التحقيق ، فالعقل هو المُصلّي.

و العقل يفكّر ، ليس له غير ذلك ، و التفكير يكون إما في خلق الله ، كالسموات و الأرض ، أو في كتاب الله ، كالتوراة و القرءان ، و هذا العقل الراقي، و بما أن التفكير في خلق الله هو للاعتبار و فهم حقيقة الخلق و شؤونه و معرفة أمر الله بالنظر فيه بحق، و كان كتاب الله هو المترجم لخلق الله، يرى المرء أنه من الحسن جمع خلق الله و كتاب الله في كلمة واحدة هي كتاب الله، و القرءان أعظم كتب الله، فإذن العقل الذي يفكّر في القرءآن هو المصلّي و تفكيره و تدبّره هو الصلاة .

فقوله "فصلّ لربّك" معناه تدبّر القرءان لربك ، واللام في "لربك" معناها إلى أن تصل إلى ربك في التدبّر، إذ القرءان ظاهر آفاقي ، فالاعتبار الأول هو للوصول إلى النفس ثم إلى الملكوت ، ثم الاعتبار الأعظم و هو الوصول إلى الرب الأعلى العظيم، و لا يجوز تجاوز الملكوت إلا بعد العمل بمقتضاه، أي مقتضى الملكوت، لأن عالم الهوية لا يقربه لسان على التحقيق إنما هو تذكر محض، فليس للإنسان شأن في الهوية و إنما في النور ، الملكوت ، و بديهي أنه من مشى في عالم عليه أن يفهمه و يعمل على إصلاح هذا العالم منه، و إلا فلا يقبل منه ذلك التعمق في العلم إن كانت عوالمه فاسدة، فإذن "فصل لربك" معناها تدبر القرءان و تعمق فيه حتى تحيط بالعوالم و تعرف حكم ربك و تقيمه في نفسك و تدعو الناس إلى ذلك . "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة".

لا حظّ في الجنّة لمن لا عقل له و و لو فعل ما فعل و قال ما قال . "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا".

القرءان آيات العقل . و ليس للقلب إذ القلب قدس في نفسه و إنما يُسئ إليه أحد أمرين : جهل و هوى البهائم ، لأن القلب هو مرآة النفس المتعالية ، التي خلقها الله و خلق كل شئ ليرى نفسه فيها، و أفكار السوء و أعمال السوء هي كالسواد و الغبرة على وجه المرآة المقدسة هذه ، و لذلك جاء الوحي بجعل الأفكار مقدسة و الأعمال مقدسة فتصبح المرآة مجلوّة ، فيتجلى الرب كما شاء ليرى ما يشاء متى يشاء، و لهذا خلق الخلق.

فقوله "فصل لربك" هو تقديس للعقل، و قوله " و انحر" هو تقديس للجسم، فالنحر قتل البهائم و ذبحها و القضاء عليها ، و البهائم هي شهوات الجسم ، البطن و الفرج و الراحة السيئة ، أي الكسل ، و أمنيات الجسم و شهواته هي التي تنجّس العقل و هي من أكبر أسباب نجاسته، إذ الذي يُكثر من الجلوس عند المزابل يوشك أن تصير رائحته كرائحتها. و من هنا تنعكس سيئات الجسم إلى باطن الإنسان، على عقله و تشوهه بقبحها، و لقطع هذه الأمنيات قال الله "و انحر"، لتعلم أن الأمنيات هذه و الآمال لن تنتهي أبدا، فالذي يظن أنه إذا ارتكب الشهوة مرّة أخرى سوف لن يفعل ذلك بعد هذه المرة هو مخطئ ، لأن الشهوة كالنار لا يطفئها الوقود بل الماء، و ليس ثمّ سبيل إلى قطع هذه الشهوات و عدم التفكير فيها أصلا ، و من أجل ذلك شرّع ما شرّع من أجل حفظ قدسية النفس عن مثل هذه المساوئ و اقتصر على الضروري منها و ما يجلب الصحة و لا يسئ إلى الباطن.

قوله "لربك" يشير إلى الإخلاص، فمعنى "فصل لربك" أنه يوجد من لا يصلي لربّه ، فلماذا يتدبّر القرءان إذن ، إنه يتدبر فيه من أجل أن يقال عالم فيأخذ مالا من الناس، يتدبر فيه ليعلم كيف يحيك الدسائس لإضلال عامة الناس و التحكم فيهم، يتدبر فيه لأنه يريد أن يدخل الجنة بعد أن يموت و هذا أدق الشرك، و لكن أثره عظيم، إذ كيف يتعلم المرء ليموت، و إنما التعليم حياة ، فالمصلّي بحق يتعلّم من الله لأنه لهذا و مثله قد خلق ، لأن كماله في هذا ، لأن الله يرضى أن يعطي مثل هذا العاقل و يحب ذلك ، إذ ليس عطاء أعظم من العلم، و الله يحب أن يُعطي، و كلما طلب منه الإنسان أكثر و أكبر كان حبّه لهذا العابد أكثر و أكبر، ألست تحبّ من يحب أن يعمل ما تحبّ، فتعلّم الكتاب غاية في نفسه لا ينتظر بعدها غاية، و إن كان فهي من فيض عظمة و بركة تعلّم هذا الكتاب ، و هذا هو العمل الخالص للرب.

قوله "فصل" يظهر بدون الفاء أنها "صل" ، و كون الصلاة ذكرت بحرفين يشير إلى أنه على الأقل يجب أن يجعل المرء في يومه وقتين للصلاة، و بما أن اليوم ليل و نهار ، فليجعل وقتا في الليل و وقتا في النهار ، و أحسن وقت في الليل وسطه و أحسن وقت في النهار أوله ، لذلك لم يذكر في القرءان صلاة مقرونة بوقت إلا مرّتين " صلوة الفجر" و "صلوة العشاء" ، و بما أنه كلما زاد تدبّر العاقل في ملكوت الله زاد ملكه و قدسيته في العوالم كلها، فهذين الوقتين هما الحد الأدنى الحسن لكل مؤمن بالله و كتابه ، ثم يزيد بعد ذلك ما شاء الله له بشرط أن لا يكون عالة على الناس في أمر معاشه بل يعمل ما يكفيه و أهله و ينفع الناس و المجتمع الذي يسكن فيه ، إذ كما أنهم يعملون له ما ييسر عليه حياته كذلك من العدل

أن يعمل هو ما ييسّر عليهم حياتهم ، و هذا من صميم عطاء القرءان فافهم . ثم بعد ذلك تأمل حتى تتفجّر الأنهار منك تفجيرا.

لماذا ذكر الصلوة قبل النحر ، لأن من لا يأكل الطعام الحسن فإنه و لا شك يأكل الطعام السئ ، إذ لابد له من الأكل ، فكل إنسان له أمر يحبّه و يريد أن يكون عنده هذا الشئ المحبوب ، و هو يدفع كل ما يقدر لجلب هذا المحبوب ، فمن لم تكن أساس سعادته هي السعادة الباطنية الروحية فلم يبق إلا أنه جعل أساس سعادته السعادة الجسمانية ، و ليس سعادة الجسم على هذا الاحتمال إلا شهوات البطن و الفرج و الراحة ، و عندما يكون ذلك هو همّ الإنسان فإنه يعمى عن الشهوة الباطنية العلمية ، إذ لو كانت الدنيا و الآخرة يصح أن يجتمعا لصح أن يجتمع الليل و النهار ، و لجمع الله ذلك لنبيّه عليه السلام ، و لكنه قال " و للآخرة خير لك من الأولى" ، فلكل امرئ أساس للسعادة جعله لنفسه واختاره بإرادته ، علم ذلك أو لم يعلمه ، و أن تكون سعادة بهيمية لا يليق ذلك بالإنسان ، فيجب أن تكون السعادة أصلها السعادة الإلهية ، و لن يستطيع أحد أن يختار الإلهية على البهيمية إلا بعقله الواعي المستنير بالملكوت ، رذ لمّا يتذوق لذة الملكوت سيزهد في أسفل سافلين ، و لذلك قال "فصل لربك" ثم "و انحر" لأن تدبر القرءان سبب التعالي عن شهوة الحيوان التي بها يتحقق قدر الإنسان .

لماذا جعل الصلوج المقبولة هي المقرونة بقوله "لربك" أما النحر فأطلقه ، و لم يقل " و انحر لربك " مثلا ، لأن تعلم القرءان إذا لم يكن لوجه الرب فإنه لوجه الأنانية و الشيطان و الدنيا ، و هذا مُخرج له عن غايته، و بذلك يتنجس العقل و القلب أكثر من لو لم يقرب القرءان أصلا ، إذ ما أسوأ حال الذي يصل إلى نهر الحيوة و لا يزال ميتا ، بل يكون نهر الحيوة سببا لموته ، هذا لن يذوق الحيوة أبدا ، أما النحر فإنه لنجاة النفس و رقيّها ، فأنت تصلي لربك و لكن تنحر لنفسك ، و لم يذكر كلمة "لنفسك" بعد "و انحر" لأن من نحر الشهوات ألا ترى نفسك و تختفي بل تهلك أنانيتك، و تصبح معطاءً لوجه الله لا تريد جزاءً و لا شكورا، فالزهد في الدنيا ، اللعب و إخوانه ، هو من صميم الإنسانية، و كل شئ بمقدار.

إن أول حرف في الآية هو الفاء ، و آخر حرف هو الراء ، تجعل الكلمة "فر" ، و هذه الكلمة هي أجمع كلمة تصف ما تعلّمه الآية المباركة ، بل و كل ما يمكن أن يعلمه أحد للوصول إلى الحق و النزول به. ألا تراه يقول "ففرّوا إلى الله" و ذكرت الآية مرّتين ، و هنا أيضا أمرين، الصلاة و النحر ، و العوالم الأربعة ، النفس المتعالية و الملكوت ، و هي النور ، و الآفاق و الأنفس و هي ظلمات بنفسها ، و الفرار من الأنفس هو إلى الملكوت ، و الفرار من الآفاق هو إلى قمّة التجريد كما أن الآفاق قمّة التجسيم، و هو إلى النفس المتعالية ، و أيضا فرار النفس يكون إلى النفس المتعالية بالفناء فيها ، "كل شئ هالك إلا وجهه"، و فرار الآفاق يكون إلى الملكوت لأن الآفاق قمّة الظلمات و الملكوت قمّة النور، و سبب حكم الملكوت على الآفاق هو عبادة الإنسان و مهتمه، فكلمة "فر" هي الدين كله.

تقديم الصلوة على النحر يدلّ على وجوب تقديم الباطن على الظاهر . ففي الإصلاح يجب أن يتم من عمق أفكار الإحسان و مفاهيمه، ثم إلى الظاهر بالعمل الصالح، و لذلك قال "لا إكراه في الدين" ، فمن باب أولى لا إجبار الدين ، و لذلك قدّم الله الغيب على الشهادة . كل هذا ليعلم الناس أن الإصلاح و الأولوية هي للباطن ، و أن لا فائدة في حركات ظاهرية و أحكام و ما إلى ذلك إن كان فكر الإنسان لا

ينتج هذه الأعمال بنفسه ، فأيما رجل عمل عملا لا ينطلق لعمله هذا من فكره و باطنه فعمله عبث و كل ما يقوم به عبث، و قد يكون العمل عن أن يلقى في القلب هذا ليس من العبث، و إنما أظهر مثل على هذا هو الذين يقومون بطقوس و يتبنون مذاهب لا يفقهون شيئًا فيها، و لذلك ترى الإخلاص منعدم عند أمثال هؤلاء الذين يعكسون سنة الله، و أمثال ذلك أيضا الكهنة و أشباههم الذين يكون كل همهم أن يعمل الناس أمورا معينة أو يتركوا أعمالا معينة ، و لا يهمهم فهم الناس. و أن يتركوا الحرية للناس في البحث و الاختيار، أما هنا فالله يعلم أن التأمل هو سبب الترك ، التأمل هو سبب الترك و البعد عن الشئ، و البعد عن شئ يلزم الأخذ بشئ آخر، فإذن التأمل هو سبب العمل ، و إلا فهو عبث .

و قوله "فصل لربك" بناء على ما سبق يجعل التأمل المعتبر هو الذي يبحث صاحبه عن إرادة الله لكي يعمل بمقتضاها ، و هو كل إنسان يحب ربه و يريد أن يعمل بإرادته فإنه لا يرضى بأن يقول له الناس هذا صحيح و هذا خطأ ، بل يريد أن يتأكد أن إرادة الله هي في هذا الفعل أو الترك ، و بحسب شدة الرغبة يفتح الله لعبده من باب العلم بالإرادة، فمنهم من يفتح له في كتابه، و منهم من يزيد على ذلك بأن يعرفه الأمر في قلبه، و منهم من يسير على قاعدة الأخذ بالنفع إذا غلب و ترك الأضر إذا ظهر، و منهم من يسير على قاعدة اعمل ما تحب أن يعمل لك و اترك ما تكره أن يعمل فيك ، و من جمع له الله هذه الأربع فهو الأكمل في معرفة إرادة الرب ، و هذا أعظم الرسل.

قوله "فصل لربك" يشير إلى أنه يأمره أن يصل إلى ربه أو قل يصل لربه، و الرب هو الذي يدبر و يملك، و المرء مملوك لمفاهيمه، إذ كل أعماله و مشاعره مملوكه لمفاهيمه عن الأشياء، فهنا يعلمه الله أنه على الإنسان أن يبحث و يتعمق في الأمور حتى يصل إلى جذورها التي تنتج هي عنها، و لا يرض بأن يكون سطحيا، و يعلّم إن الإنسان إذا وصل إلى المفهوم، مفهومه عن الأمر المعين، عليه أن يبدأ الإصلاح من هناك، و ينحر هناك، كذلك كل عمل سئ أو شعور سئ إذا حلله الإنسان و وصل إلى جذره، سيرى أنه من هناك يستطيع أن يغير هذه الجذور، بأن يقتلع القديم و يجعل بدلا منها جذورا جيدة حسنة، و سيرى أن الأعمال الصالحة و المشاعر العلية ستكون سجية له ، بلا كره و لا تكلّف ، و كثيرا ما يقع الإنسان في السوء ، و يشعر به ، و يكرهه و لا يعلم سبب ذلك ، بل لعله يظن أن هذا حكم الله فيه ، و يلقي اللوم على العزيز الجبار ، و ما أبعد هذا عن الصواب ، لأنه لو حلل لوصل إلى الحل ، و لكل أثر سبب إذا تغيّر السبب تغيّر الأثر ، و المفاهيم سبب الأعمال و المشاعر ، و باستطاعة الإنسان اختيار مفاهيمه ، و الله المستعان .

الآية تتكون من ثلاثة أحرف ، ثم أربعة أحرف ، ثم حرف واحد ، ثم أربعة أحرف . و هذا تدرّج في تعلم الإنسان و تعليمه . إذ أوهل ما يجب أن يتعلمه الإنسان هو نفسه ، أي قلبه و عقله و جسمه ، أو جسمه و عقله و قلبه ، ثم يتعلم العوالم الأربعة ، النفس المتعالية و الملكوت و الآفاق و الأنفس ، ثم يتعلم أن يتذكر أن هذه الأربعة هي وحدة تامة ، إذ الهوية العلية هي كل شئ و عين كل شئ و أعلى من كل شئ. فلا يضيع و يتفرّق في كلمة أربعة ، بل ليعلم أن الأمر كله وحدة في حقيقته، و هذا هو سرّ الأمور، لذلك كان حرفه الواو ، لأن الواو حرف يرمز إلى السر "هو الذي يعلم السر في السموات و الأرض" لأن سرّ الأمور هو العامل الخفي الجامع بين كل الأمور، الوحدة الحقيقية وراء الكثرة المعقولة و

المرئية ، ثم يرجع إلى حقيقة العوالم الأربعة ، و يعمل على إصلاح ما ينبغي إصلاحه ، و السعادة في مقام المعرفة و المشاهدة.

كلمة "انحر" كل أحرفها نورانية ، فالفهم أنه لا يترك أحد عمل شئ إلا إذا أخذ عملا حسن ، أحسن منه، كذلك لن يترك أحد لذة إلا إذا أخذ عوضا عنها ألذ منها، فالذين يدعون الناس إلى ترك الشهوات أو الأعمال السيئة ، أو ترك الغش و الكذب ، و لا يعطيهم أحسن منها ، بأن يفتح لهم باب الشهوات الروحية ، و يكونوا على حال يستطيعون فيها أن يعملوا الأعمال الحسنة، كأن يكون ما حولهم يثير فيهم حب الأعمال الحسنة، و المجتمع القائم على العدل، و لا يوجد فيها طواغيت و أهلهم يريدون أن يستعبدوا الناس، و ما أشبه، و أن تكون حالتهم في معاشهم حسنج، لأنهم لو كانوا فقراء و محتاجين، و يخشى كل منهم أنه لن يستطيع أن يطعم أبناءه، ثم يسمع من يدعوه إلى الملكوت و ما شابه، فإنه سيسمع بأذن و يخرج الحديث من الأذن الأخرى، إذ لن يسعى أحد إلى كمال عقله و باطنه إلا إن كان عنده ما يكفيه و أهله من حيث ظاهره، و إلى هذا أشار لما جعل في سورة الكهف قصّة أصحاب الجنة قبل أصحاب السفر للتعلم، فمن افتقر كفر، هذا حكم أكثر أكثر الناس، و لعله لا ينجو من ذلك إلا واحد في كل مصر أو أعزب وحيد يسكن وحده و يكفيه قوت يومه، أو أكلة في كل بضعة أيام، و ظاهر أن دعوة الله ليست للواحد و الأعزب فقط، فلذلك أيما مجتمع أهله في فاقة و ظلم يجب أن يصحح من يستطيع هذا الوضع قبل أن يحثّهم على الأمور الروحية، إلا إن كانت الأمور الروحية من الأسباب التي ستجلب لهم هذه الأمور ، فعندها لابد من ذلك. و تأمل أن الله لم يقل لموسى "ثوّر بني اسرئيل على فرعون" و لكن "اذهب إلى فرعون" فأوّل من يعاقب على ظلم الناس ليس الظالم و إنما من يستطيع أن يردع الظالم و لا يفعل، و هؤلاء البطانة هم أوّل حطب جهنم يوم القيامة، إذ لولاهم لما تفرعن فرعون، أنّى له ذلك و هو رجل واحد ، بل لعله أضعف الرجال.

بدأت الآية بحرف الفاء ، و ختمت بحرف الراء ، و الفاء حرف ظلماني تام ، و الراء حرف نوراني عدده خمسة . فالفهم أن الترقي الروحي الأكمل هو أن يكون الإنسان في الظلمات التامة ، فسق و جهل و كفر و غفلة، ثم يخرج منها إلى الملكوت ، محل النور التام ، و لذلك كانت كلمة "نور" في آية النور المباركة قد ذكرت خمس مرات، فليس العالم الذي يعرف الهدى و كيفية تعليم الناس بمعصوم عن الخطأ، و لا ينبغي أن يكون كذلك، بل يكون أسوأ الناس، بحكم جهله ، ثم يبعثه الله من الموت إلى الحيوة الخالدة ، فعندها و عندها فقط سيعرف كيف يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، لأنه هو نفسه كان في الظلمات فأخرجه الروح من الظلمات الآفاقية إلى نور الملكات ، فأعلم الناس الجاهل إذا تعلّم .

إذا رسمنا خطّاً ، و كتبنا حرف الفاء سنرى أن الفاء حرف فوق السطر ، مآد رأسه إلى فوق ، أما حرف الراء فحرف تحت السطر ، فالفهم هو أن قمّة الظلمات هو لما لا يرى المرء إلا الظاهر و الظواهر ، الجسمانيات و الحيوة الدنيا ، لا يرى أنه يوجد شئ غير المال و توابعه ، أما قمة النورانية لما يرى الإنسان بالباطن ، بحقيقة الأشياء ، يبحث في جذر الأمر و لا يرضى بالسطوح ، لأن الظاهر إنما يتشكّل بحسب ما في الباطن ، فإن كان رجل يعتقد بأن الحيوة هي جمع للمال و بذخ في لاعيش ، هذه عقيدة عقلية باطنية ، ستنعكس في الظاهر بأن لا يبالي من يؤذي لجمع المال ، أن يصرف ماله في السفاهات و سئ الشهوات بدل أن ينفق هذا الزائد لبناء أمر نافع أو إعطائه لمن يحتاجه إذ ظاهر أنه

قد استغنى عنه لما أعطاه لأهل الشرّ ، و هكذا كل أمر يبدأ من الباطن إلى الظاهر ، و هذا هو النظر الصحيح ، أما الذين انتكسوا فتراهم يحكمون أمر الآخر بحسب ما يريدون من أمر الدنيا ،فلو تعارض أمر الدنيا مع أمر الآخر تركوا الباطن للظاهر ، و هؤلاء هم الذين يختارون أي أمر الله يتبعون ، فإذا كان الحق لهم و في صالحهم أسرعوا إليه ، و لو كان عليهم و ولّوا مدبرين ، و كذلك كل إصلاح يحب أن يبدأ من مستوى المفاهيم العقلية ثم النتيجة ستبرز بسهولة إن شاء الله .

معنى كلمة "انحر" هي بحسب الحروف ، المتوحد نور يحب الربوبية ، و الربوبية نظام الحكم القائم في الملكوت ، و الحب الجمع بين الشيئين حتى يتّحدا ، كذلك المتوحد ، و هو المتأله العاشق للنفس المتعالية ، يجب أن يأتي بنظام حكم الملكوت إلى عالم الآفاق ، حتى يصبح نور الملكوت تام الإشراق هنا ، و لهذا نزلنا إلى هنا ، فافهم هذا جيداً.

" و فوق كل ذي علم عليم " .

-.-

{ إن شانئك هو الأبتر }

أربع كلمات ، خمسة عشر حرفا ، أربعة ظلمانية ، و أحد عشر نورانية.

في عالم الخلق الزوجية حتم ، فلكل فوق تحت ، و لكل مشرق مغرب ، و لكل حق ضد هو الباطل ، فالأضداد رمز الخلق ، و لذلك كان لابد أن يوجد عدد لأهل الملكوت ، كما أن الظلمة ضد النور ، فعندما يقول "إن شانئك" يقرر أنه سيوجد لك عدو مبغض لشؤونك، فلا هو يصلّي و لا هو ينحر، و هذه سنة الخلق، فتبني على ذلك أنه يجب أن نتحمّل العدو و لا نظن أن الخير في سفك دمه أو فناءه ، لأن الشئ يُعرف بضده ، فكيف سيعرف لناس دعوة الملكوت إن لم يعرفوا عبدة الطاغوت، و أيضا أنه ما دمنا في عالم الخلق فإن الضد لن يختفي، إذ لا تفنى الزوجية إلا في عالم الهوية الإلهية العلية. فعلى صاحب القرءان و العقل أن يحفظ هذا في قلبه دائما فإنه أساس معاملاته مع غيره.

ما معنى "شانئك" هي كلمة مبغض و كلمة شؤون انجمعوا في هذه الكلمة، لتدل على أنه المبغض ليس لذاتك ، و إنما الذي يبغض شؤونك، أي أعمالك التي تؤمن بها و تقوم بها، و أحوالك التي تمرّ بها، فالأب المعاند قد يحب ابنه المتأله لأنه ابنه ، فهو يحب ذاته، و لكن يبغض حلمه و خلواته و قراءاته و أصحابه و كثرة سكونه و دعوته ، و المقصود هنا هو الذي يبغض شؤون المؤمن ، إذ يقول "لا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا" فإلى هذا تشير الكلمة و بهذا توحي.

ما معنى "الأبتر" عن ماذا انبتر، عن الملكوت و الملأ الأعلى، فإن كان الملكوت محل النور التام و الآفاق محل الظلمة التامة، و كان هذا الشخص يبغض الصلاة و النحر، وسيلة الإتيان بالنور ، فإذن هو مقطوع عن النور غارق في الظلمات ، فإذاً تعرف نفسك و من حولك ليس بما يقولون و لا ما يزعمون أنهم به يعتقدون و إنما بحل يحبون طريق الملكوت أم لا ، و الحب العمل بالمحبوب و إلا فهو إفك و كذب جميل.

الملك من الناس هو الذي يريد أن يأتي بحكم الملكوت إلى الآفاق ، تذكر هذا دوماً.

إن كان الذي يبغض الملوك يُحكم عليه بأنه مقطوع عن النور ، فإذا الذي يحب الملوك سيصله الله بالنور، إن الإنسان عاجلا أم آجلا سيتبع طريق الذين يحبهم، بقدر استطاعته ، فترى أهل الجهل يحب الواحد فيهم طاغية تسلّط على رقاب الناس، أو مترفا يحى و كأنه خلق للتبذير و الفجور ، و ما شابه، و هو و إن كان ليس من سلالة الطواغيت و لا هو يملك مالا كهذا المترف ، إلا أنه من شدّة حبّه له إن توفّر له سبب يجعله يلحق بركبه سيتخذه سبيلا مهما كلّف الأمر ، كذلك المؤمن إذا أحب الملوك فإنه سيسرّ له الرب طريق السير كما ساروا ، و لو كان قابعا في غرفته مغلق عليه بابه ، و هل سفر الملوك من دولة إلى دولة أم من مقام إلى مقام، من فقر إلى غنى أم من جاهلية إلى إسلام، و إنما يقع الحب إذا اتفقت الغايات ، فرجل يحب المال إن وجد من عنده المال أحبه و قدّره ، فهو يرى فيه نفسه كما يطمع أن تكون، و لذلك يحبه لأن كل إنسان يحب نفسه ، فإذا رأى نفسه في مخلوق آخر أحبّه ، كذلك الذي يطمع بنيل نور الملكوت و سماع الملأ الأعلى و مجالستهم ، يحب كل نبي و ولي متأله ، يحبهم لأنهم وصلوا إلى حيث يقصد ، و يعتني بكلماتهم لأنها آية و حولهم، بل و هو خير من يشرح كلماتهم لأنه منهم وهم منه "فمن تبعني فإنه منّي" و ليس كالمتطفلين على الأنبياء، ممن لا حظ لهم من السير إلا قال و قيل ، فالحب هو الجامع بين المحب و المحبوب ، فأنت مع من تحب .

كلمة "الأبتر" جذرها هو بتر ، و هي عكس رتب ، أي التنظيم و التنسيق و الترتيب ، فإذاً السمة البارزة التي تفصل بين الملوك و العبيد هي أن العبيد يعيشون في هذه الحيوة في حيرة و غموض و عشوائية، و ليس أمرهم منظم و لا هدفهم محدد ، أما الملوك فقد تذكروا سبب نزولهم ، و عرفوا الملكوت كله ، و تصميمه و هيئته ، و نظام حكمه و حال أهله و أعمالهم ، فدرس ذلك جيداً، ثم وضع نظاماً لنفسه ، و رتب مراحل دعوته، حتى يقيم في بيته و أهله نظام النور، و إشراق جمال المعشوق، ثم بدأ يدعو بنفسه و بكلامه لذلك ، فهو يعرف ما سيواجه في البداية أثناء الدعوة و ما هي الاحتمالات التي قد تنتهي بها حياته هنا ، و يعرف ماذا يفعل لو انتصر الملكوت في زمنه ، و جاء الله و الملائكة إلى الأرض ، فأمره منسّق ، و علمه محقق، و كلامه مسدّد ، و كل أمره ظاهره و باطنه مرتّب ، و هذا هو الفاصل بين من يحيى بالله ، و بين من لا يعرف أهو حي أم لا.

لما قال "إن" فقد أكّد أن الذي يبغض الملك "هو" فأعاد الإشارة إليه "الأبتر" فالفهم هو أنه لن يحجب الرب الملكوت عن أحد من الناس إلا إن اختار هذا الإنسان معاداة الدعاة إلى الملكوت ، فمن أحبّهم فقد عرفت ما سيكتب لهم ، و من وقف على الحياد ، فلا هو محب و لا هو معاد ، هؤلاء بحسب أعمالهم و رغباتهم سيتحدد أي كفّتي الميزان ترجح ، فينظرون إلى هؤلاء و إلى هؤلاء ، و إلى أي الاثنين يميل قلبهم سيكون منقلبهم.

ما آية الأبتر ، هو الذي لا يعرف بركة و حرمة السبت .

يسأل المؤمن المتأله فيقول ، رب كيف أعرف من هو عدوّي فأحذ منه ، فيجيبه الله يقول "الأبتر" .

البتر هو قطع العضو ، و العضو في الجسم هو من نفسه كيانه ، فبتر الشئ هو قطعه من شئ هو من أجزاء حقيقته ، و لذلك سمّي من لا حظّ له من عقل الله بالأبتر ، لأن العوالم وحدة تامة ، فمن قطع نفسه عن عالم فكأنه يقطع عضواً من الجسم الواحد.

كيف يبتر الإنسان نفسه عن الملكوت ، بأن لا يرغب في معرفته ، و لا يسأل الذين يعرفونه ، و يعادي الذين يدعون إليه ، و الإعراض أقلّ العدواة .

من سيعادي المتأله ، تابع للأحزاب ، إذ ليس لهم حظّ من القرءآن ، أليسوا يتبعون طرقا ما أنزل الله بها من سلطان.

"الأبتر" ستة أحرف ، و تشير إلى الأيام الستة ، و هو قد بتر نفسه عن اليوم السابع ، السبت ، إذ لكل يوم عمل و حقيقة ، من حققها فقد اتصل باليوم ، و من أعرض عنها فقد بتر نفسه عن اليوم ، و السبت هو الملكوت في جوهره .

"الأبتر" هو الذي لا يصلي لربه و لا ينحر ، فإنما يفترق الناس في الأمر الذي يجعلونه أساس حياتهم و حركتهم، ثم تتشكل باقي أعمالهم و اختياراتهم و مشاعرهم بحسب أساسهم ، و بحسب محور حركتهم، فمن جعله اللعب و التفاخر تشكلت كل أعماله لتتفق و هذا المحور ، فما قرّب منه فهو الخير ، و ما صرف عنه فهو الشرّ ، فالدعوة و التعليم يجب أن ينصب كامل الانصباب إلى هذا الأساس ، افهم هذا جيدا ، اعرف أساسك الذي اخترته ، و كن شديدا في نقده ، و النظر إليه من كل جوانبه ، و برهن عليه و جادله ، و أحسن اختيار أساس حياتك ، لأنه لا محالة إما أن يكون سببا لشقائك أو سعادتك، لرقيك أم للأخرى و العياذ بالله، و أهم اختيار في حياة الإنسان هو محور حياته، ، و لا يوجد من لا محور له ، استحالة ، و لكنه قد لا يعرفه ، و إن لم يعرفه فهو غالبا محور سئ قبيح يورده المهالك ، و يجعله كما قيل، "استهوته الشياطين في الأرض حيران" فأنت محور حياتك، فانظر من تريد أن تكون.

قبول الكوثر هو محور حياة الملوك ، و دخول الأرض المقدسة هو غايتهم ، و بناء الآفاق حتى يصبح كالملكوت هو حياتهم ، و لا يزال الإنسان في قلق و حيرة و غم و جهل حتى يصل إلى هذا ، لأنه علم ذلك أو نسيه فإنه إنما اختار النزول إلى الآفاق لأنه قال للرب ، اجعلني أنزل لكي أحقق رؤية أبي و رؤيتي ، أريد أن أبني في هذه الصحراء مملكة كمملكتك ، أريد أن أرفع المملكة من الظلمة التامة إلى النور التام، فخرج من بيته من أجل ذلك ثم إذا فرغ أو انتهت مدّة سفره عاد إلى بيته، فإما منكس رأسه من الخجل و إما رافعا رأسه كالمنتصر "إنا لله و إنا إليه راجعون " .

إن القرءان يقول "هو" فماذا عن "هي" ، أي لو عادت امرأة ملكاً، فهل تدخل في هذا، كحمالة الحطب، و السرّ في هذا أن "هو" مذكر، يشير إلى العقل الذي يقذف النور و المنطق ، و هذا في الرجل و المرأة، و موقف الإنسان من أن ما هو موقف عقلي ، فالعقل مذكر سواء في الرجل أو المرأة ، فإن الحكم للعقل لا للجسم . و لذلك امتفى ببيان العدوّ بالذكر حتى تعلم أن الأمر كله في العقل . فبما أن أصل العداوة في العقل فلذلك كانت الدعوة يجب أن تكون موجّهة فقط للعقل، فلا محل للإكراه و لا إجبار، العقل العقل و لا

شئ غيره "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة" و هل يفهم الحكمة مجنون "و بالموعظة الحسنة" و هل سيسمع الغبي الذي لا يتفكر، " و جادلهم بالتي هي أحسن" و هل الجدل من أمور الجسم أو العقل، فآية دعوة الملكوت أنها موجّهة إلى باطن الإنسان، و آية الطواغيت رغبتهم في إخضاع الإنسان و جعله في نظام محدد كالبهائم حتى لو لم يفهمه و لم يرده "لا إكراه في الدين . قد تبيّن الرشد من الغيّ" .

العقل كل شئ ، فعقلك إما جنة و إما جهنم ، و أنت تختار . "إنّا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا".

كيف يبتر العقل أمر ما عن نفسه ، بأن لا يفكّر فيه . فالذي لا يتدبر في القرءان ، أليس يدخل تحت حكم الأبتر ، و الذي يداوم على التأمل فيه ألا يكون متحدا معه "بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم".

الإنسان أربعة ، القلب و العقل و الجسم و النفس ، القلب للنفس العلية ، و العقل للملكوت ، و الجسم للآفاق ، و النفس كالبذرة التي يرعاها هؤلاء الثلاثة حتى تصل إلى كمالها المقدّر لها من قبل الخالق كالنطفة " من نطفة خلقه فقدّره . ثم السبيل يسّره " . احفظ هذا أكثر من حفظك اسمك ، فإنه باب العلم كله .

أما القلب فليس له إلا النفس العلية ، و هو الهوية المتعالية عن زوجية الخلق ، هذا من حيث السرّ ، فهو محلّ تجلّي المعشوق و لا جدل و لا كلام فيه من حيث أنه كالمرآة للنفس العلية .

و أما الجسم فإنما يرجع في أعماله و تأثراته إلى مفاهيم و توجيهات العقل ، فهو كالآية بيد صاحبها، هل يتحرك السيف بنفسه أم أنه رهن إشارة سيّده.

و أما النفس فهي محل تأثر لا غير .

فإذا لم يبق إلا العقل ، و لذلك كان هو كل شئ ، إذ هو الذي يتأمل و يحدد و يأمر و ينهى ، و هو من الملكوت و فيه ، فكما أنك بجسمك تحيا بين الأجسام في عالم الآفاق ، كذلك من كان عقله حيا يحيى بين الملأ الأعلى و الملائكة في عالم الملكوت ، و ليس للعقل إلا عالم الخلق ، فكل ما كان مخلوقاً فالعقل يعرفه و يستطيع أن يعرفه و يصفه و يحكم فيه ، و كما أن الأجسام تختلف في قوتها ، إذ قد يحمل جسما ما لا يقدر عليه آخر، كذلك العقول، و كما أن الجسم قد يدخل إلى قصر الملك و قد يمنع من الدخول أو لا يصل إليه أصلًا ، كذلك العقل لا يدخل إلى الملأ الأعلى، بل قد يُطرد و يقذف من كل جانب.

فإن كان القلب كالمرآة ، و الجسم كالجنّة و النفس محلّ تأثر فقط ، فلم يبق للتأثير و الحرية الإنسانية إلا العقل، فليس ينبغي الاهتمام بشئ في المجتمع الإنساني بقدر الاهتمام بالعقل. و هذا معنى و تحقيق كلمة "هو" .

يظهر من قوله " إن شانئك هو الأبتر " أن هذا المبغض يرمي أهل الملكوت أنهم مبتورين عن الحق ، فتأمل في أنه لم يقل "إن شانئك مبتور " أو "إن شانئك أبتر" ، فما وضع "هو" ، دلّ على أنه هذا المبغض يقول عن الذين يتبعون نهج "فصلّ لربك و انحر" و يقول لهم إنكم مبتورين عن السعادة، فيرد الله عليه بأنه هو الأبتر، و ثمّة أمران نريد أن نفصّل فيهم بناء على هذا.

الأمر الأول هو أن الله لم يوجّه الكلام لهذا المبغض للملكوت و يقول له "إنك أبتر" بل وجّه الكلام للولي. و هذا عين البتر الذي وقع على هذا المبغض، إذ لن يكلمه الله لا في الدنيا و لا في الآخرة. فالأبتر إذن هو الذي لا يكلمه الروح و لا يمتلئ بنور الملكوت و يفهم شؤونه.

الأمر الثاني هو أن الولي لا يدافع عن نفسه بحكم أفكاره و توجهاته هو ، و إنما يدافع عنه الله الذي يعمل له، و لذلك لم يقل الله "قل إن شانئك" أو "قل لشانئك" أو "قل إنك الأبتر" و ما شابه، بل كان الحكم صادراً من الرب نفسه، فالأولياء يعملون بنهج الملكوت، و الرب هو الذي سيتكفّل بالمبغضين لدينه، أما الأولياء ففي سلام "ادخلوا في السلم كافة".

و ينبني على الأمرالأول ، عدم تكليم الله للمبغض للصلاة و النحر ، أمر مهم ، إذ بما أن الجزاء العادل من جنس العمل ، فالسيئة بالسيئة و الإحسان بالإحسان ، و بما أن الله يمدّ بحسب استعداد و طلب العبد ، فبما أن الله لم يكلّم هذا المبغض فإذاً هذا المبغض لم يكلّمه الله أولا ، و لذلك لم يكلّمه الله جزاءً، فمن كلّم الله كلّمه الله.

يقول الله "لم تقولون ما لا تفعلون" ، فإذاً الله يسمع لصوت الأفعال أكثر من سماعه لصوت الأقوال، فمن قال "رب اغفر لي" و كان مصرّا على الغفلة لا يريد أن يتركها بحال و قد جزم و عزم، لم يسمع الرب لصوت قوله، و اعتبره كأنه لاشئ، و سيسمع لصوت فعله و يلبّي له طلب بحسب فعله، فإذاً تكليم الله بالأفعال هو التكليم الحق ، أية أفعال ، الجواب هو هذا "فصلّ لربّك و انحر" هذا هو اللسان الذي يقبله الله و يجيب الذي يدعوه به، و لسان الأقوال إن جاء يؤيد و يترجم عن لسان الأفعال كان نور على نور. و إلا لا اعتبار له.

الآن نفهم لماذا صار هذا الشانئ أبترا. لأنه لم يصلّ لربّه و لم ينحر ، و بقدر الانقطاع عن نور الملكوت يكون الاتصال بظلمات الآفاق، فقر و مرض و جهل و طاغية و حروب و حيرة و ريب و كل الظلمات .

المجتمع يُحكم عليه بحسب أكثرية أهله ، فإن كانت الأكثرية مبتورة على العقل الرباني كان مجتمعا مظلماً و سترى فيه هذه الظلمات تفعل فيه فعلها ،و إن كانت الأكثرية تتبع منهج الله كانت مجتمعا نورانياً، و سترى فيه عكس صفات الظلمات، فكل فرد يختار الملكوت إنما هو نور في ميزان الحكم على المجتمع، فكل حسنة تفعلها تزيد بالنور، و كل من يعمل سيئة فإنه يثقّل كفّة ميزان الحكم على المجتمع، و كل فكرة حسنة توضع في كفة النور، و كل نية سيئة توضع في كفة الظلمات، فلا يوجد فرد في المجتمع، مجتمع الدولة أو مجتمع العالم، إلا و هو يساهم في تثقيل أحد كفتي الميزان، حتى بالنية العارضة المغفول عنها، ليس لك إلا نفسك ، إن اخترت النور كنت عند الله عظيما، و من اختار الظلمات

فهم و ما اختاروا، فلا يوجد من لا أهمية له، حتى العجوز المغمور المشلول، و حتى الشاب و الصبي الجاهل بالأمور، بداية من النية مروراً بالفكرة مروراً بالعمل، إما أنور تضيفه إلى كفة الاتصال بالملكوت و إما ظلمة تضاف إلى كفة الانبتار عنه، ثم بحسب الكفة الراجحة يتحدد ماذا سيحل بالمجتمع من أمور، هذا أهم ما يجب أن يعرفه كل فرد في العالمين، و لعله أهم من معرفه اسمه.

فكل فرد في العالم مسؤول عن العالم كله، إذ لابد إما أن يضيف إلى كفة النور أو كفة الظلمات لا محالة، و يوم القيامة عندما يتحقق قدر الخلق ، الأرض المقدسة، هو يوم يتم الاتصال التام بين عالم الآفاق و بين عالم الملكوت، و هذا يوم ينمحق فيه كل أبتر من على وجه الأرض، ينمحق بأن يصبح نورانيا و يختار الصلوة.

هل في الإمكان الواقعي أن يختار كل الناس الملكوت على الطاغوت; اعلم أن اليوم أكثر الناس مع الطاغوت، و قلّة مع الملكوت، فالكفة ترجع لصالح الطاغوت، و لذلك يحل بالناس ما يحل بسبب اختيارهم هم للولاء للطاغوت، و بسبب المصائب التي تحل بالناس بسوط العذاب الهادي إلى الله، إذ كل من لا يختار أمر الكتاب فإن الله يهديه بسوط العذاب، فمع مرور الوقت فإن الناس ستختار الأصلح، و شيئاَ فشيئا سيقتربون من الروحانية الحقة، كما نرى في يومنا هذا، و بظهور علم الله بين الناس، سيأتي يوم ترجح فيه كفّة أهل الملكوت على كفة عباد الطاغوت، وعدنها ستكون الأكثرية علماء و القلة هم الجهال الأشقياء.

و بما أن الحكيم إذا عاش في مجتمع السفهاء سيصبح سفيها مثلهم، و السفيه إذا خالط الحكماء كذلك سيصبح حكيما مثلهم لو طالت مخالطته لهم و كان في مجتمع حكماء، ألا ترى أن الرجل إذا تعطّر و سكن بين المزابل و الجيف أوشك أن تصبح رائحته كرائحة ما حوله، اعرف هذا جيدا، و تذكره حين تختار أصحابك و مجتمعك، فالمجتمع هو رب يفرض أحكام على أهله و الساكنين فيه.

إذا أصبح المجتمع أكثره علماء، و كانت القلة الجاهلة يجب أن تخالط العلماء بسبب أخلاقهم و أحكامهم، كما أن العلماء اليوم يخالطون الجهّال بحسب عاداتهم و شؤونهم عامّة، فالجهال و لو بعد حين سيقل عددهم، إذ سيفرض عليهم المجتمع الصالح أحكامه، فيزداد عدد العلماء كثرة، و الجهال قلة، ثم مع مرور الوقت ، يقل عدد الجهال حتى يضمحلّ و يفنى . و هو يوم القيامة الكبرى ، " و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون".

كيف نجمع بين مقول "إن وجد أهل الملكوت فيجب أن يوجد أهل الطاغوت كما أن النور يجب أن يوجد مع الظلام" و بين مقولة "القيامة الكبرى لا تبقي أحدا إلا و هو من أهل الملكوت" . الجواب هو هذا ، إن عباد الطاغوت ما زالوا اليوم على الأرض لأنهم لم يتذوقوا حياة الملكوت، فهم ما زالوا يسيرون على هدى سوط العذاب، حتى يجبرهم في نهاية المطاف على تذوق النور، فإذا ذاقوه استطاعوا الآن أن يقارنوا بين الظلمات و النور، كما أن يونس اختار الهداية بسوط العذاب حتى ألقي في الظلمات فنادى النور وقتها و ذهب إلى حيث يجب أن يذهب، و اختار ذلك بنفسه، فهل سيختار العودة إلى بطن الحوت الموحش بعد أن تذوّق طعم الحرية و العلم، و إن اختار فسيُلقى مرّة أخرى، و مرّة أخرى، و مرّة أخرى، حتى يختار

أن لا يعود إليه مرّة أخرى، و يتبع النور، كذلك كل نفس في العالم، حتى يختار الناس كلهم النور، فوقتها لن يبقى أحد يختار الطاغوت، إذ أين الليل إذا أشرقت شمس الظهيرة. "قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا".

تأمل كيف حعل القرءان العلاقة بين الصفات و العامل، و جعل العامل هو رمز و مظهر الصفات المجردة، إذ قال "إن شانئك" و لم يقل "إن مبغض هذه الأعمال" و ما شابه، فالفهم أن الأخلاق و الأعمال ليست أموراً مجردة يجب أن يحصّل الإنسان، و إنما توجد لّما يأخذه بها، فالاحتجاجات النظرية لصحة خلق و بطلان عمل لا محل لها عند الله. و إنما يحتج بالعمل الذي استطاع أحد أن يعمل به، فالتحقيق في الواقع هو الذي يثبت صحة النظرية و ليست الأدلة و المجادلات المنطقية وحدها، نعم وجود الجدل ينقّي النظر، و لكن التحقق في الواقع هو المصداق الأكبر لكل مقولة.

فبناء على ذلك ، من أراد أن يثبت صحة طريقة ما يجب أن يقوم بها، و من جاء بمثال من الواقع يدل على فساد طريقة ما كان هذا هو الحكم الذي يجب أن ينطبق عليها، إن تحققت كل الشروط و الأوصاف بين الواقع و النظرية، و مع أن هذا صعب و لكنه حسن و فيه من العلم الشئ الكثير.

فكم من الأمور نستطيع أن نثبت صحتها جدليا و لكن إذا طبقناها وجدناها غير ذلك، و لذلك عند أهل العقل يجب أن نعمل حتى نعرف تمام المعرفة، و أي معرفة قبل العمل هي في النقص و أحكامه، و يندر أن يتحقق اليقين في عمل ما و صحته و فائدته ، إلا إن كان من الوحي المقدس ، و حتى هذا الواقع هو الذي يصدقه "يأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّا" فلم يُسمّها حقا إلا بعد أن صدّقها الواقع ، فافهم .

اعلم ، بل تذكر ، أن النفس إذا نظرت إليها من حيث ذاتها رأيتها فقرا محضاً، مفتقرة إلى النفس العلية "يأيها الناس أنتم الفقراَء إلى الله و الله هو الغني الحميد" و هذا الفقر فيها ذاتي لا يغيره شئ و لا يمكن تغييره، إذ إلى أين ستذهب بدون الهوية المتعالية ، هل غيرها لتذهب إليه ، فالمقدّس لا يرى نفسه أصلا، إذ نظر بعين الوحدة المطلقة، "كل شئ هالك إلا وجهه"، فهذا على صلة بالهوية، لا بعد انقطاع و انفصال، و إنما تذكّر لهذه الحقيقة، و حتى التذكر لا يصح أن يطلق لأنه نوع من الانفصال، إذ يجعلك في حال تتذكّر فيه الهوية، أي أن التذكر شئ و الهوية شئ و هذا باطل، إذ "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" فالتأله عشق لا شئ فيه إلا هوية المعشوق ، بل العشق نفسه لا غير، أما المبتور الملعون فإنه يظنّ نفسه شيئا مستقلا بذاته، و يرى أنه لن تتحقق نفسه ، و هذا ما أشار إليه بقوله عنه "إن شانئك هو" لما جعل ضمير "هو" و هو عائد إلى نفس، و أظهر هذا الضمير و لم يقل "إن شانئك أبتر" دلّ على نوع من الانبتار و هو توهم الاستقلال و القيام بالنفس، فانقطع عن العشق لا لشئ سوى خيال فاسد في نفسه، و ظنّه أنه شئ يُذكر، و لذلك قال بعد "هو" أنه أصبح بعد توهم هذا "الأبتر" ألا إن الوجود إنما هو الهوية العلية و أسمائها الحسنى، و لا شئ غير ذلك ، و كل ما عدا ذلك وهم سيئ يبتر صاحبه عن الجنة النارية و يُلقيه في واد سحيق من الإنية، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، و طوبى لمن يشعر بغير الله و لم ير أحدا سواه "قل هو الله أحد".

و كون "هو" حرفان ، يدلّ على أن هذا المبتور عن العشق يظن أن الهوية العلية شيء و أن نفسه شيئا آخر منفصل عنه، و هو عين الشرك، و إن النفس الإلهية لنار ليست أقل من نار سقر التي لا تبقي سواها و لا تذر.

لما قدّم الله ذكر "شانئك" على "الأبتر" دلّ ذلك على أنه لا يجوز الحكم على أحد قبل ثبوت عمله ثبوتا تاما لا مرية فيه، و الحكم بالظاهر باطل، فقبل الحكم على أحد، هذا لمن وجب عليه أن يحكم لعمل ما، يجب أن يفهم من العامل سبب علمه، فإن كان واهيا حكم بمقتضى العمل، و كم من الناس يرمون إخوانهم من الناس بالسوء لأتفه الأسباب، و إن الله يعلّم أن لا تحكم على أحد و لو رأته يقتل برئياً، إلى هذه الدرجة، إلا قبل أن تسمع سبب عمله، كقصة موسى و العبد الصالح، تصور لو أنا ننظر إلى هذا الرجل و هو يخرق سفينة و يقتل الغلام الزكي البرئ، و يجوع و يعمل لأناس بدون أن يأخذ أجرا على عمله، إن حكمنا بالظاهر ألا نحكم بالحق إذا فعلنا ، أنه فاسد سئ الأخلاق مجرم عديم الإنسانية طاغية غبي و سفيه ، و هذا الرجل حكم الله فيه أنه "عبدا من عبادنا ءآتيناه رحمة من عندنا و علّمناه من لدنّا علما" فالفهم أن الحكم بالظاهر باطل إلا أن نسمع سبب عمل العامل، و يُستثنى من هذا الطاغية و المتفرعن، لأن لسان فعله أعلى و أهم من لسان قوله، و أي حجة تكون لمن يسكن القصور و ينفع بالبذخ على نفسه و أهله و حاشيته و يكون من الشعب من ينظر في لقمة ليأكل، أما باقي الناس فعلينا أن نفهم سبب أعمالهم قبل أن نحكم عليهم، و من يستطيع أن لا يحكم فهو خير له و أسلم.

و إن الله أعطى المُلك فهل من آخذ . " و فوق كل ذي علم عليم " .

انتهى الكتاب و الحمد لله رب العالمين .

....

خلاصة الروح و العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله الذي تزلزلت أعراض الكائنات ببسط جوهره ، و اندّكت كثرة ذوات المخلوقات ببروز أحديته، و ظهر جمال الأزل في مرآة الخلق بإتقان صنع يده، و الذي جذب أرواح العشاق إلى مستقرّ حضرته، فجعل أعينهم تحتار في جلال قهره و جمال لطفه، و جعل قلوبهم جناب للمعارف القرءانية بفيوضات وحيه، حتى أصبحت كل ساعاتهم تفكرا في خلقه و تألها في ذاته، و كل ما حولهم خاضعا لشرعه و محبا لأمره و حكمه، فالحمد لله ثم الحمد لله على كشفه و بسطه، و الشكر الخالص له على ما وهبه لأولي الألباب ، و الذي هو عين الوهب السليماني المذكور في قوله "هذا عطاؤنا فامسك أو امنن بغير حساب".

الغاية العليا وراء القراءة ليست فهم الكاتب و شخصيته أو الحكم بأسلوب الفرعنة و التعالي الذي يمارسه أصحاب النفوس الضعيفة التي تسكن في مستويات متدنية من الوجود، و لا هي في فهم أفكار الكاتب فقط من حيث فهمها و استيعاب المعلومات المذكورة فيها ، نعم هذا جائز في الكتب التي تتعامل مع شؤون الدنيا العملية الجسمانية ككتب الطب و الهندسة و القانون مثلا، و أما في كتب العرفان الروحاني و العلم النفسي الذاتي فإن الغاية من قراءتها هي أن يكتشف القارئ أبعاد نفسه و مساحات عقله و درجات روحه ، فبغض النظر عن الفكرة المطروحة فإن القارئ بروح عرفانية إنما يقرأ ليغوص في ذاته. و من هنا كانت كتب العرفاء بوابات ذاتية معنوية، و ليست هي إلا هذا. نعم و ما يأتي بعد ذلك من فوائد و أعمال إنما يأتي بعفوية و بدون تكلف كعفوية العمل الأرضي و السعي وراء ما يستطيع أن يلمسه بيده الجسمانية و يشمه بأنفه الجسماني، مثل أحد أبعاد التجربة الدينية في عمق أعماقها.
الوجود كتب، و الإنسان قارئ. و كل ما يعرضه الوجود من كلمات يعتبر شيئا يستحق القراءة بعقل راقي و هادئ و صدر منشرح. نعم، قد لا نفهم كل ما نقرأه و هذا طبيعي، و لكن الغير طبيعي و غير مقبول هو أن نُعارض ما لا نفهمه أو ما لا تقبله قلوبنا بسبب استعدادنا الحالي و درجتنا الحالية في سلسلة تربيتنا الربانية، فالإنسان الراقي يضع مثل هذه الأمور في خانة "سأرجع لها لاحقا" ، و الله يفتح على من يشاء بما يشاء، إذ رفض الفكرة هو سد لإمكانية الفهم اللاحق لحقيقتها، و لا فائدة حقيقية من مثل هذا السد. نعم هذا الرفض يلبي غريزة جاهلية، أي غريزة إقصاء المجهول المخالف للمقبول السائد. و لكن ينبغي أن يكون الإنسان - الذي هو خليفة الله - أكبر من ذلك .

إني أكتب لنفسي ، أكلّم نفسي بعقلي . و ذلك لأسباب عدّة من أهمها أن إلقاء المعارف من عوالم الروح و رجال الغيب يأتي في أي وقت و ليس من الممكن أن يتوفر سامع قابل دائما لمثل هذه المعارف و الأفكار، فنقول بالاختلاء مع صديق أهل الفكر و خليل أهل الذكر : الورقة و القلم ! فنكتب ما يفيض من وجداننا عليه، و الحمد لله أن القلم عبد مطيع لإرادتنا و الورق خادم مخلص لكل كلامنا، فالورق كالزوجة المثالية : تقبل من زوجها كل ما يلقيه و تعكسه له كما يرضيه. و لهذا سميت المرأة "امراة" من المرآة التي تعكس ما يقف أمامها و يتجلى فيها. و النتيجة النهائية لما يجود به القلم و يقبله الورق هو هذه المقالات و الكتب التي تجدها حولك. و لكن كما أنه "ليس كل ما يُعرف يُقال" فكذلك "ليس كل ما يُكتب يُنشر". و هذا لا يعني وجود محتويات سيئة في المكتوب- و إن كانت هذه هي الحال أيضا- و لكن لأن استعداد

المتلقي للكتاب إن لم يكن موافقا لمستوى الفكر المطروح في الكتاب- سواء كان المستوى أدنى أم أعلى فلا فرق- فإن نوعا من الكره و الرفض سيتولد بين الكاتب و القراء. و الحق أن في هذا العالم ما يكفي من أسباب الكره و الرفض بين الناس و ليس من الحكمة في شئ أن تزيد عليها سببا آخر. هذا من الجانب السلبي. و أما الجانب الإيجابي للكتابة و النشر فأعظم بكثير. فالكتاب يأخذ القارئ من ذاته إلى ذوات الكتاب، و يجعله يسبح في عوالمهم. و هذا السفر العقلي مهم جدا لتوسعة الأفق و الترقي الحضاري و الارتفاع الروحاني. فإن كان السفر بالأجسام في بلدان الأرض مُهمّاً لصحة النفس و توسعة الأفق، فإن السفر العقلي في عوالم الأنفس و الأفكار و المشاعر أهم بسبعين ألف مرّة. و لا يخفى أن حس الأنانية الضيقة في الإنسان الغير ناضج بعد يبدأ في الزوال و الأفول حين يدمن الإنسان على قراءة عقول الناس و تعلّم الاستماع الحصيف لهم، بدون عجلة أو تعالي، بل بكل حس مرهف و تواضع يناسب تواضع الضيف عند النزول في منزل مضيفه. و لمثل هذه الأسباب و غيرها فإني وجدت أنه من أحسن الأعمال على هذه الأرض-التي هي أرض غربة أرواحنا-هو الكتابة المعنوية و القراءة العرفانية. فكما قال حضرة مولانا جلال الدين الرومي في أشعاره العظيمة (أقول :أخذها من شيخه لكنها له من حيث قبوله لها) :

الروح من نور عرش الله مبدؤها . و تربة الأرض أصل الجسم و البدنِ

قد ألّف الملك الجبّار بينهما . ليصلحا لقبول العهد و المحن

الروح في غربة و الجسم في وطن . فارحم غريبا كئيبا نازح الوطنِ

و رحمة الروح تكون في ذكر الله و التفكر في أسرار الخلق . كما وصف الحق تعالى "أولي الألباب" في سورة آل عمران "الذين يذكرون الله...و يتفكرون في خلق السموات و الأرض" . فالذكر و الفكر هما مصراعي باب الفردوس للروح، و الإنسان هو الروح و من غلبت عليه السمة الروحانية على السمة الحيوانية الأرضية، و أما البشر فهم من غلبت أجسامهم على أرواحهم. و لا يمكن أن يحكم إلهان في نفس العالَم. و كذلك في كل فرد يوجد حاكم واحد فقط له سلطان الإرادة العليا و نفوذ شرعه و حكمه; إما سلطان الروح و إما سلطان التراب. فسلطان الروح يتمثل في غلبة الذكر و الفكر و الفنّ (الذي هو وسيلة التعبير عن الذكر و الفكر) على حياة الفرد، و كون الأولوية في كل شئ للذكر و الفكر. و أما سلطان التراب فكل ما عدا ذلك، و الذي من أبرز أمثلته الاستهلاك التافه للحياة. ما هو الاستهلاك التافه للحياة؟ تصوّر هذه الدائرة و الأسئلة: لماذا تأكل الطعام؟ من أجل الطاقة. لماذا تنام؟ من أجل الطاقة. لماذا ننجب الأولاد؟ من أجل البقاء على الأرض. و الآن اجمع هذه الحقائق الثلاثة- و هذا تبسيط طبعا و لكنه يفي بالغرض: نحن نأكل و ننام و ننكح من أجل أن نملك طاقة و نبقى على الأرض. و الآن يواجهنا السؤال الآتي : و لماذا نملك طاقة و نبقى على الأرض ؟ هنا بالضبط تفترق طرق الناس و تتشعّب مسالك الحضارات و الشعوب. و لسنا هنا في مقام تبيان كل المسالك و الطرق التي اتخذها الناس. و لكن يمكن تلخيص هذه الطرق في ثلاث طرق تجمع تحتها ما سواها.

الطريقة الأولى تقول : نجمع الطاقة ثم نستهلكها في وسائل أخرى لجمع الطاقة ! كالذي يأكل من أجل أن يعيش من أجل أن ينتظر حتى يهضم الطعام ليأكل مرّة أخرى. أو كالذي يعمل ليملك المال ثم ينفق المال في أي شئ حتى يرجع ليعمل ليجمع مزيد من المال بدون أي خريطة واضحة لأهداف الجمع أو الإنفاق، اللهم إلا إنفاق بلا وعي، إنفاق مدفوع بخضوع غريزي لقيم المجتمع الهابط و تفاخراته السخيفة. و هذه طريقة جماهير الشعوب في معظم الأحيان. و من هنا قال أهل الفكر : الجماهير

حميرا! و من قبل ذلك قال الحق تعالى " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا" و ما هو سبيل الأنعام ؟ يقول الحق "ذرهم يأكلوا و يتمتعوا كما تأكل الأنعام فسوف يعلمون". إذ الأنعام تأكل لتنكح، و تنكح لتستمتع، ثم تموت و انتهى الأمر في هذه الدائرة المفرغة الغريزية السفلية. هذه طريقة. و مع الأسف فإنه على ما يبدو للمتأمل لابد أن يكون الجماهير هكذا دائما، لأن بهيمية الجماهير هي التي توفّى السبل الميسّرة لترقي النخبة المفكرة و المتألهة. إذ كما يقول المثل الشعبي : إذا أنا أمير و أنت أمير فمن راعي الحمير ؟! فالتفرع للفكر و التأله ضروري، بل قمة في الضرورة، "إذا فرغت فانصب و إلى ربك فارغب". فالفراغ أولا، ثم التفكر و التأله. و التفرغ يأتي بخدمة الآخرين. و الخادم الذي يخدم فقط من أجل كسب الراتب في نهاية الخدمة، فأجره محدود بنيّته و وعيه. و إن كان لجمع المال غاية راقية فهي من أجل إنفاقه في صناعة أجواء مريحة للتفكر و الكتابة و التأمل في أسماء الله الحسنى و التأله في إطلاقية ذاته المقدسة. المبرر الوحيد للثراء هو إنفاقه في العلم و العشق. و أما ما عدا ذلك فعبث كعبث قارون . و كلنا يعلم ماذا حدث لقارون. و هو ما سيحدث لكل أبناء قارون و من يسير على طريقته. و هذا لا يعني عدم الاستمتاع بالمال، و لكن يعني تعريف الاستمتاع بالمال بنفس التعريف الراقي القرءآني له. و لا يمكن لمن يعيش بالطريقة القارونية أن يجد في الفرحة و الانبساط في هذه الحياة- فضلا عن القادمة- أكثر مما يجده من يعيش بالطريقة الإنسانية الموسوية السليمانية. فتأمل هذا.

الطريقة الثانية هي الفوضوية النفسية. بمعنى أن صاحبها يتنقل في حياته و أسلوب حياته بحسب حالته النفسية الحالية. و هذا يقع عندما لا يغوص الإنسان في نفسه فيفهم جذور مشاعره و رغباته و رهباته، إذ كثير من هذه إنما يرجع إلى مرحلة الطفولة و كثير من العقد المهمة تتشكل في هذه المرحلة الطفولية ، فيكبر الشخص بها بدون أن يشعر بتأثيراتها عليه، فيظن أنه يرغب و يرهب بناء على أمور معينة، إلا أنه في الواقع يرغب و يرهب بناء على هذه الجذور الطفولية اللاواعية. و يوجد عند النفس البشرية الكثير من الغرائز البدائية و الحيوانية و الطفولية و الصبيانية، و كلها تلعب دورها في التأثير في نفسه و تشكيل قراراته، و المسكين يظن أنه حرّ ! و الحق أن الحرية الممكنة تبدأ بوعي شامل و عميق بأغوار النفس و درجات الروح و مستويات الوجود و الإمكانات و المستحيلات ، و ليس عند أهل الفوضوية النفسية شئ له قيمة من كل هذا، و مع ذلك فإن العيش بناء على هذه الطريقة له إيجابياته أيضا. و ذلك لأن عنصر التغيير سيكون دائم الفعالية، بعكس الروتين الرتيب و الملل، و هذا التغيير المفاجئ في كثير من الأحيان له متعته الخاصة و جماله الخاص. و إنه ليرجع في مبدئه الأعلى إلى حقيقة تجلي الأسماء الحسنى في المخلوقات تجليا مستمرا متغيرا على الدوام، و هذا التغيير الذي تمر به نفس الفوضوي البحت يشعره بنوع غريب من الحياة، يشعره و كأن قوى ما تسعى في إسعاده أو التأثير فيه، و معلوم أن جزءا كبيرا من الكبرياء الذاتي يتم إشباعه عن طريق الشعور بملاحظة الآخرين للشخص. و بالرغم من هذه الإيجابية و غيرها، فإن الذي استقرّ وعيه في حضرة الحق المتعالي و عرجت روحه إلى المستوى المطلق اللامتناهي، ثم تنزّل من ذلك المقام الأسنى إلى المراتب الأدنى، لا يمكن لمثل هذا الإنسان الكامل أن يقبل بمثل هذه الطريقة. و نحن نسعى للكمال بقدر المستطاع، ليس الكمال كما يتوهمه البعض، و لكن الكمال كما تقتضيه الحقيقة المطلقة و النسبية الخاضعة للحقيقة المطلقة و لذلك لن نخوض في هذه الطريقة الثانية بأكثر مما قلناه، إذ إنما الهدف هو ذكر نبذة مختصرة عنها، و أهل

كل طريقة يشرحون طريقتهم بما لا مزيد عليه، و بما أننا لسنا من أهل هذه الطريقة فلسنا نملك الحق بتفصيلها بأكثر من ذلك في هذا المقام.

أما الطريقة الثالثة ، و هي التي أسميها "طريقة العرفان" ، فإنها التي ننتسب لها بكل وجودنا و نحيا بها بكل استطاعتنا ، و هي موضوع هذا الكتاب. لهذه الطريقة أربع مراتب ، من الأعلى للأسفل : العشق ، العلم ، الصحة ، المال . كل طبقة و مرتبة أدنى تخضع للمرتبة الأعلى. و كل أدنى يخدم الأعلى. و كل أعلى يحدّ الأدنى. فمثلا; بما أن العلم أعلى من الصحة فيجوز التضحية بالصحة من أجل من أجل كسب العلم. و لكن بما أن المال أدنى من الصحة فلا يجوز التضحية بالصحة من أجل كسب المال. و هكذا . و سنكرس فصلا خاصا لكل مرتبة نذكر فيه أهم ما في المرتبة و الأسس الوجودية و الروحية التي تقوم عليها و تبررها . فتعالوا ننظر ...

(فصل : العشق)

يقول حضرة مولانا جلال الدين الرومي في تعريف العشق و كشف لبّه و رفع الحجاب - قدر الإمكان- عن سرّه :

حيثما أسجد يكون هو المسجود له
و في الجهات الست و خارجها هو المعبودُ
و البستان و الورد و البلبل و السماع و الحسناء
هذه جميعها ذرائع و هو وحده المقصودُ

فالعشق هو أعلى درجة ممكنة في التوحيد ، بل هو الاستهلاك الذاتي للعاشق في بحر ذات المعشوق. فتغلب ذاتية المعشوق و هويته على هوية العاشق و قلبه، فيصبح في المقام القرءاني القائل "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" . و العشق انبساط روح العاشق، انبساط في مساحة لامتناهية، فتصبح روحه تحلق في "الجهات الست" و أيضا "خارجها". و الجهات الست، التي هي رمز على عوالم الحدود و الزمان والمكان، هذه هي سجن طير الروح- هي سجن باعتبار أنها حدود للذات الإلهية الامتناهية، و كل عارف يمر أولا بهذه المرحلة، أي المرحلة التي يرى فيها عوالم الحدود و الخلق على أنها سجن و حجاب عن الله تعالى و قيد على حقيقة روح الإنسان المطلقة. و لذلك ذكر حضرة مولانا في البدء "الجهات الست و خارجها" . و لكن بعد السياحة المعنوية في بحر الذات المطلقة فإن العارف يُعطى علم وعين "التجلي". أي يعي أنه حتى في "الجهات الست" فإن الحق تعالى يتجلى، بل كل ما في الوجود و الخلق إنما هو عين الحق و مظاهر تعينات أسماءه الحسنى. و لذلك ذكر مولانا بعدها "و البستان و الورد و البلبل و السماع و الحسناء ..هذه جميعا ذرائع و هو وحده المقصود" و لاحظ أن العامل المشترك بين هذه الأمور الخمسة التي ذكرها هو الجمال. و لكن هذا لا يعني أن الحق تعالى لا يتجلى في أمور الجلال. فالله لطيف و قاهر أيضا. و ليس غيره إلا من تجلياته و أفعاله . و لكن الطريقة العرفانية تميل إلى جانب الجمال، و الكل من الله. و لكن الرحمة الرحمانية اقتضت أن يكون أهل الله النخبة ، هم أهل الجمال و البسط ، و ليس أهل الجلال و القهر و القبض. و هذه عين الطريقة المحمدية. هي طريقة الجمال. و "الله جميل يحبّ الجمال". فالعشق هو الحرية. العشق هو أعلى تجلي لله تعالى. و العاشق هو الذي يسعى للجمال، و يبني للجمال، و يعبد الجمال، ويطلب الله في الجمال، سواء كان جمال المحيط "البستان و الورد" أو جمال الرائحة "و الورد" أو جمال الصوت "و البلبل و السماع" أو جمال الحب و الجنس "و

الحسناء" فهذه كلها "ذرائع" يعني غير مطلوبة لذاتها، و غير مطلوبة لغريزة بدائية أو تفاخرات اجتماعية أو منافسات رجالية و نحو ذلك من مقاصد سفلية، بل المقصود بها عند أهل العشق هو التقرب الروحاني إلى وجه الجميل المتعالي تبارك اسمه. "و هو وحده المقصود" ذكره لكلمة "هو" إشارة إلى الهوية الغيبية للذات الأحدية، و ليس ثمّ إمكان للاتصال بذات هويته تعالى. هيهات، إنما هو تقرب إليه بصور تجلياته، كالقرءان العظيم و الأنبياء و الأولياء ، كأشياء الجمال و هكذا. و أما طريق تحصيل هذا العشق، فليس له إلا طريق واحد و وسيلة واحدة، و لذلك لا نحتاج إلى كثر كلام عنه: أما الطريق فهو جذبة من لدن حضرة الحق تعالى. و أما الوسيلة فالاستهتار بذكر الله دائما و أبدا. و على الله قصد السبيل .

(ملحوظة : أثناء وصولي إلى هذا الموضع من المخطوطة وجدتها غير كاملة و أنّي لم أكملها في حينه حسب ما ذكرنا في المقدمة . و ظهر لي أن سبب ذلك هو أني لم أقل "إن شاء الله" في المقدمة حين ذكرت أني سأكتب في العشق و العلم و الصحة و المال . فأصابني العقم و لم أنجب . فنستغفر الله و نحمده تعالى على هذا التنبيه .)

(فصل : تلخيص الطريقة من وجه و وضع منارات على الطريق)

الإنسان يسعى بحكم جوهر ذاته إلى أمرين لا ثالث لهما : الكبرياء و الراحة ١

الذي يجلس على الأرض لا يخشى السقوط، و لذلك حتى يطمئن القلب يجب أن يكون أساس سعادته هو أمر لا يمكن أن يزول ٢

كل إنسان مقهور في إنفاق طاقته ، و في هذا القهر يشترك كل الناس، و كل إنسان مخيّر عموما في مواضع إنفاق طاقته، و في هذا الاختيار و موضوعه يختلف كل الناس ٣

مدد الطاقة يأتي يوميا، و إنفاق الطاقة يتم لحظيا، سواء تم الإنفاق شعوريا أو لاشعوريا، في موضع يوَلّد طاقة جديدة أو فقط يستهلك الطاقة ٤

أساس السعادة الدائمة ليس الجسم و نشاطاته و لا المال و كثرته و لا الأسرة و الأصدقاء و الأحباب، و ذلك لأن كل هذه الأمور تزول و تتغير و تحصيلها فيه مشقة تكفي في كثير من الأحيان لكي تمحق أي متعة يمكن أن تستمد منها ٥

ذكر الله في أعماق الروح هو الأساس الوحيد الممكن للسعادة المطلقة الدائمة ٦

التفكر في عوالم الخلق باستعمال العقل و التأمل الذهني هو الأساس الثاني للسعادة الدائمة ٧

العمل على صحة الجسم ، بحسن النوم و حسن التغذية و ممارسة الرياضة و المتعة الجنسية، هو الأساس الثالث للسعادة الإنسانية البشرية ٨

وفرة المال و استعمال في توسيع المُلك الشخصي على الأرض، و الملك هو وجود بيت ملك سكن جميل و وسيلة نقل نظيفة و قوية و فخمة و عاقر مصدر دخل يكون كالعبد الذي يجلب المال لسيده، هذه الوفرة هي الأساس الرابع للسعادة ٩

قراءة الكتب و دراستها و تدارسها مع أهل الفكر و العقل هو خير الأعمال الإنسانية الاجتماعية، و جمع الكتب للغوص فيها هو عمل النبلاء و العظماء ١٠

العشق روح الحياة، و العشق العالي ما كان موضوعه جميل خالص، و الله هو المعشوق المطلق، و من يعشق الله يتجلى الله له في الأمور الجميلة كلها، و أعلى تجليات الله هو القرءان الكريك ثم الأولياء

العارفين ، ثم المرأة الراقية، ثم المناظر الطبيعية و البساتين و الأصوات المتناغمة الموسيقية العميقة المريحة ١١
كل ما يُطلب كوسيلة إلى الله فهو مقدس من هذه الحيثية و يجب احترامه لذلك ١٢
لا تطلب من الشئ أكثر مما يستطيع أن قبله أو يعطيه ، حتى لا يغضب منك و تزهد فيه ١٣
دراسة القرءان و تحليله باستعمال الكتابة أثناء الدراسة هي دخول الجنة الآن ١٤
من دعا الله في أمر فقد برئت ذمّته من هذا الأمر ١٥
من أعان وليا لله فقد فاز في الدنيا و الآخرة ١٦
الوعي بالنفس و جذور مشاعرها و تصوراتها عمل عظيم و أجره عظيم و نوره أعظم و أعظم ١٧
المبرر الوحيد للثراء هو لإنفاقه في سبيل التفرغ للذكر و الفكر و إعانة الآخرين على التفرغ للذكر و الفكر ١٨
القرءان لم ينزل لنحفظه و لكن لندرسه و ننشره ١٩
الوجود طبقات و مستويات بينها سلالم ، و لا خير في معرفة لا تُبنى على إدراك هذه الحقيقة ٢٠
الله لا يُدرك من حيث ذاته و لكن يُتوسّل إليه بالجميل من تجلياته ٢١
من فتح قلبه لله تلقّى المعارف من لدن الله ٢٢
الخيال مملكة الإنسان الحر ، و الكتابة خلق الإنسان الحر ٢٣
من أراد قتلك فيجوز أن تضربه ، و من أراد ضربك فيجوز أن تدفعه ، و من أراد دفعك فيجوز أن تبتعد عنه، هذه شريعة الكبراء العلماء. "لئن بسطت يدك إليّ لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين" ٢٤
أكمل وسيلة لكسب المال في هذا الزمان هي المتاجرة برأس مال عظيم في الأسواق المالية العالمية٢٥
المتاجرة الكاملة مبنية على نظرية الاحتمالات و ليس على يقين في الجزئيات، فالمخاطرة حاضرة في المتاجرة كحضورها في ركوب السيارة أو السفر بالطائرة، و لكن المتاجرة الغير مبنية على دراسة و قاعدة ليست تجارة و إنما مقامرة ، و الفرق كبير ٢٦
تعلّم كيف يحتال المحتالون حتى لا تكون أنت موضوعا من موضوعاتهم ٢٧
من طهّر قلبه من العقد النفسية الطفولية و الغضب الفارغ و الحسد ، و توجه إلى حضرة الحق تعالى، كان قلبه هاديا مهديا موجّها من لدن الحضرة التي توجّه لها ٢٨
أنت تملك الأفكار و لكنها ليست أفكارك ٢٩
من الناس من يعمل الأغمال بناء على الأمنية و الرغبة و الرهبة و المعرفة ، المفلح من عمل بناء على المعرفة ، و من عدا هذا فلا وزن لهم يوم يكون الوزن الحق ٣٠
عملك محدود بنيّتك ٣١
قصص القرءآن رموز مقدسة عالية على مسائل روحانية و إشارات معنوية يفقهها أهل الألباب و يضل عنها من طمست الذنوب بصيرتهم ٣٢
الأشعار العرفانية باب من أبواب الفردوس الأعظم، و أعظم هذه الأشعار هي أشعار حضرة مولانا جلال الدين الرومي ٣٣
أعظم الكتب في هذه الأمة و كل أمة بعد القرءآن هي : الفتوحات المكية و فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي ٣٤

الأوراد -المكونة من الأذكار و الأدعية- ضرورة روحانية و نفسية مطلقة ، و أساس كل حياة للروح و فرحة للنفس الراقية ٣٥

النوم معراج ٣٦

بيت لا مكتبة فيه كجسم لا عقل فيه ، و بيت لا مصلّى فيه كجسم لا روح فيه ، و بيت لا قرءان فيه كقلب الملحد ، فكمال البيت بالمكتبة العامرة و المصلى الثابت ، و تاج البيت هو القرءان العظيم ٣٧

أيما مجلس لا يكون على الأقل ثلثه في ذكر أو فكر فهو مجلس موتى و مقبرة جماعية و مزبلة في آن واحد ٣٨

من لا يحب نفسه لا يمكن أن يحب غيره ، مهما فعل ٣٩

الموت من أجمل ما في هذه الحيوة ، لأنه عودة الروح إلى منزلها - و نحن أرواح - ... إن شاء الله ٤٠

لا يمكن لأي امرأة أو شيطان أو رجل يظن نفسه ذكيا ، أن يخدع وليا لله أو متعلقا به . أما المرأة فيطلقها في لحظة عندما يكشف الحق تعالى لوليه خداعها ، و أما الشيطان فيوفق الحق تعالى وليه للتوبة السريعة فيبدل سيئاته إلى حسنات ، و أما المتذاكي فينقلب مكره عليه " و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين ٤١

الطريق الوحيد للولاية الإلهية هو ذكر الله ، ثم الإدمان على ذكر الله ، ثم الاستهتار بذكر الله ، في الخلوات و الجلوات ، في السر و العلن ، في السر و القلب و العقل و النفس و الجسم ، في كل حركة و سكنة ، حتى يصبح الإنسان متحققا بمقام "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" ٤٢

ليس أسوأ من مفكّر غبي إلا مفكر غبي يظنّ نفسه ذكياً ، و الذي لا يحب أن يستمع إلى تصحيح الآخرين لفكره و تعليقها عليه فهو حتما مفكّر غبي ٤٣

الذي لا يقرأ أبدا حتما غبي ، و الذي يقرأ كثيرا قد يكون غبيا بامتياز . القرآءة الحقة ليست مجرد استهلاك عقلي لكلمات مطبوعة أو مسموعة ، إنما هي محفز للتفكير الذاتي و عشق المعرفة و روح التجربة ٤٤

القرءآة و الكتابة كالشهيق و الزفير ; فمن لا يقرأ و لا يكتب ميت ، و من يقرأ و لا يكتب سيختنق ، و من يقرأ و يكتب فهو الحي ، و يستحيل أن يكتب أحدا بدون أن يقرأ . و الكتابة قد تكون بالقلم و قد تكون بالكلام ٤٥

إذا وجدت أن الكتاب - أي كتاب - محرّم عند السلطات الدينية، و محظور عند الجهات الحكومية، و مكروه عند الجماهير الشعبية، فاسع للحصول على هذا الكتاب و هو حبوا على الشوك المحمي بنار جهنم . فإن الخير العظيم حتما فيه ٤٦

من يقول "لا أعرف" إذا سأل نفسه " لماذا أشعر بكذا أو لماذا أفكر هكذا...فاعلم أنه مريض نفساني و غافل روحاني ٤٧

الإنسان يعرف كل شئ ، و لكنه لا يعرف أنه يعرف ٤٨

القصص أعظم وسيلة لتوصيل الأفكار بدون الحاجة إلى ذكر تبنّيك أنت للأفكار ٤٩

كل ما سوى الله فهو تجلياته ، و كل تجلياته وسائل للتقرب إليه " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" ٥٠

المُلك هو بيت سكن و وسيلة نقل و عقار مصدر دخل . و يختلف الملوك بعد ذلك في مستوى هذه الثلاث أمور . فقد يكون البيت كوخ و وسيلة النقل حمار و العقار مزرعة صغيرة، و قد يكون البيت قصر و وسيلة النقل فانتوم و العقار ناطحة سحاب. كلاهما صاحب مُلك أرضي تام و الفرق في الدرجة ٥١
قد تخسر سبع صفقات و تكسب ثلاث صفقات و مع ذلك تكون قد كسبت مبلغا كبيرا . و ذلك إذا كانت خساراتك صغيرة و مكاسبك كبيرة ٥٢
المال يجعلك ملكا عند أهل الأرض، و العلم يجعلك ملكا عند أهل السماء، و العشق يجعلك ملكا عند أهل الله. أما الثري المفكر العاشق هو الشاهنشاه ٥٣
فكّر من الأعلى إلى الأدنى ٥٤
الفكر أن تبحث عن الجذر ٥٥
من تعلّم القرءآن تبحّر ٥٦
أكبر مصيبة للغافل هي أن يحصل على كل ما يشتهيه ، لأنه حتما سيصاب بالإحباط عندما يدرك أن ما كان يظن أنه سيجعله سعيدا و يرضى لم يجعله سعيد و لم يرضيه . إذ روح الإنسان لا ترضى إلا بالعشق و المعرفة ٥٧
أول علاقة بين الرب و آدم الحي هي "و علّم ءآدم الأسماء كلها" و لذلك لا تكتمل الحياة المعنوية للإنسان إلا إذا حصل على التعليم المباشر الحي من الله تعالى، و هو مقام "إنك لتُلقّى القرءان من لدن حكيم عليم" ٥٨
ذنب تتعلم منه خير من طاعة لا تتعلم منها ٥٩
لولا الكتابة ، لانفجرت قلوب أهل التأمل ٦٠
كل المخلوقات بين أسماء اللطف و الجمال و أسماء القهر و الجلال . و إنما يبعث الأنبياء و الأولياء لتبيان طريق الفرار من أسماء الجلال إلى أسماء الجمال ٦١
الغاية في خلق الإنسان ليست في الإنسان و لكنها في الله ، ألم تقرأ "و اصطنعتك لنفسي" ٦٢
هذا القرءآن هو جبرائيل كل إنسان ، و ميكائيل كل مسلم ، و إسرافيل كل عارف ، و عزرائيل كل تائب٦٣
الله يفعل في عوالم الخلق بواسطة الملائكة الأربعة الكبار ، و هؤلاء يفعلون ما دون ذلك بواسطة من دونهم ، و هكذا في كل العوالم ، و الملائكة الأربعة هم : جبرائيل ملك الخلق ، و إسرافيل ملك الحياة ، و ميكائيل ملك الرزق ، و عزرائيل ملك الموت ، فكل ما يبرز من ساحة علم الله الأزلي إلى صفحة العوالم يمر أولا بمرحلة الخلق ، ثم الحياة ، ثم الرزق ، ثم الموت ٦٤
إن الله أمر موسى أن يضرب البحر حتى يعرف موسى أن الله يعرف بالأسباب ، و أمر موسى بترك البحر رهوا ليعلم موسى أن الله فوق الأسباب (أقول :فكل الأوامر الإلهية غايتها تحصيل المعارف الإلهية) ٦٥
من لا يقول "يا الله .. يا الله " لا يستطيع أن يبلغ مقام "الله ..الله" ٦٦
من شهد حقيقة " كل له قانتون " و تأمل في جلال "كل إليه راجعون" فهو من أهل "قد أفلح المؤمنون"٦٧
حياتك أنفاسك فتنفّس لوجه المعشوق ،
هو الحياة و الموت و المجسد و القبر ،
وصله جمال و طرده جلال،

كلاهما عشق ، و المعرفة بحر ٦٨
مريد وجه الجميل الأعلى ، ليله طرب و رقص ، و نهاره فرح لا يطوله أي نقص ٦٩
يوجد طريقان لإشباع الشهوات السيئة المحرمة; أولا عن طريق الوعي بجذورها النفسية و أصولها الروحانية ثم استبدالها بغيرها من الصور السامية . و ثانيا عن طريق ممارستها بكثرة جدا حتى يصيبك القرف منها. الأول طريق العرفاء و الكبرآء ، و الثاني طريق قلة من سلاك الطريق الإلهي و هو طريق خطير و من نجا منه فقد أصابته نفحة خاصة من رحمة الله تعالى . و أما بقية الناس فتكبت هذه الشهوات و تصاب بالعقد و الأمراض النفسية و القلبية بسبب هذا الكبت و القمع. و الحق أن ارتكاب معصيبة عشر مرات بجسمك ثم التخلص منها خير من الامتناع عن ارتكابها بجسمك و لكن ارتكابها في خيالك سبعين ألف مرة و وضع نفسك في جهنم الأمراض النفسية . الحرية مخاطرة و الله المستعان٧٠
العلم الكثير مع السخيف كالمال الكثير مع السفيه ; ينفقه في غير محله و يعطيه لغير أهله ٧١
من هطار بثروة في الأسواق العالمية- خاطر بذكاء و دراسة- كان احتمال فوزه بثروة عاليا جدا.
المخاطرة موجودة حتى في الحفر عن آبار البترول و مناجم الذهب، و هذا لا يمنع التاجر الذكي من أن يخاطر بجزء كبير من ماله في سبيل هذا الحفر و البحث . لأنه إن وجد منجما و لم يجد عشرة كان مكسبه من المنجم الواحد تعويضا و زيادة عن خسائره من العشرة. و لكل مهنة أهلها. و بما أن التجارة و المخاطرة تحتاج إلى أعصاب فإن التاجر الشاب خير من العجوز. و الرزق مقسوم ٧٢
الناس ثلاثة : عوام و هباء و نخبة . أما العوام فهم من يعمل ثم يموت في سبيل فرحة النخبة . و أما النخبة فهم أهل المال و الفكر و العشق . و أما الهباء فهم من يحاولوا أن يحرضوا العوام ضد النخبة، لأنهم يجدوا أنهم ليسوا على استعداد أن يكونوا من العوام و لا هم يملكون من التوفيق الإلهي و الموهبة ما يؤهلهم لأن يكونوا من النخبة ٧٣
لكل اسم إلهي تجلي خاص في كل طبقة من الطبقات العوالم . فقه هذه التجليات و الخواص هو الفقة الأكبر ٧٤
من وجد وليا لله أو من فيه استعداد لأن يكون من أهل الله ، ثم دعمه و يسّر له أموره و خدمه ، فقد ضمن لنفسه جنة في الدنيا و جنة في الآخرة و عند الله زيادة لم يطلع عليها إنس و لا ملك و لا جان ٧٥
العرفاء قوم من نظر إلى مظهرهم قال "شباب طائش" أو "عجوز خرف" ، و لكن نظر إلى باطنهم احترق من شدة الأنوار الكامنة في قلوبهم. و لذلك يُفاجئ الناس يوم تبلى السرائر فيقول أهل النفاق و الغفلة "ما لنا لا نرى رجالا كنّا نعدّم من الأشرار" ٧٦
في المدينة العاقلة ; يضع أهل المال مالهم عند أقدام أهل العلم ليسبغوا عليهم من علمهم ،
و يضع أهل العلم علمهم عند أقدام أهل العشق ليفيضوا عليهم من عشقهم .
و أما أهل المدينة السافلة ; فيسعى أهل العلم إلى إضاء أهل المال بتحريف علمهم ،
و يكره أهل العشق أهل العلم بزعم أنهم ضدّهم و أعداء لعشقهم ٧٧
من مفارقات القدر أن تجد المال عدن من لا يحسن استثماره ، و تجد الفكر عند من لا يستطيع استثماره ٧٨
ليس المهم أن تكون صاحب معرفة و روح ، و لكن المهم أن يكون عندك استعداد لقبول المعرفة و تلقي الروح٧٩

من كانت حياته كلها جد في جد فهو صخرة قبيحة ، و من كانت حياته كلها لعب في لعب فهو أرخص من الخنازير المتسخة ، أما الإنسان الراقي فأساس حياته جد لطيف ، و مع ذلك يجد وقتا و همة للعب عنيف ٨٠

مصاحبة القرود خير من مصاحبة من لا يحب الفكر و الذكر ، على الأقل القرود لا تخون و لا تكذب و لا تكتئب و لا تمل و لا تتكلم بكلام فارغ مميت للنفس و مغم للعقل ٨١

الروح شمس و المعيشة أرض . فمن أشرقت روحه حسنت معيشته ٨٢

القراء على ثلاث درجات; قارئ يقرأ من أجل أن يستشف شخصية الكاتب ، و هذا أدناهم درجة .

و قارى يقرأ من أجل أن يفهم الفكر المطروح في الكتاب بموضوعية ، و هذا فوقه .

و أما أعلاهم فهو الذي يقرأ من أجل أن يفهم نفسه و يغوص في روحه ، و هذه هي القراءة المقصودة في قوله "اقرأ باسم ربك الذي خلق" ٨٣

من لا يحتار في المعارف الإلهية فهو لم يفقه منها شئ بعد ٨٤

يوجد فرق عظيم بين البساطة في التفكير و السخافة و التفاهة في التفكير . فالبساطة دائما تأتي بعد تعقيد شديد ، فهي نوع من التلخيص الجامع لذلك التعقيد الشديد، و أما السخافة فتأتي دائما من قبل أناس فيهم عجلة شديدة و يريدون أن يجبروا مسائل الفكر و الحياة أن تكون "بسيطة" و "واضحة". احذر هذا الصنف من البشر ٨٥

لا يجوز للرجل أن يطلب من المرأة أن تكون صادقة تماما معه . أولا لأن ذلك مستحيل . و ثانيا لأنه تحريض على الكذب . و ثالثا لأن المرأة عموما لا تعرف ماذا تريد هي أصلا فكيف يمكنها أن تقول للرجل ماذا تريد على الحقيقة. حسبك من المرأة اللطف و الإخلاص و شئ من العقل و كثير من الحنان٨٦

أن تُدخل إلى حياتم من يعكّرها و لا يجملها ، هو علامة السفه المحكم ٨٧

ادخل فقط في الأمور التي تستطيع أن تخرج منها بسلام ٨٨

العِرقْ مهم ، و لكن الروح أهم ٨٩

كتاب واحد تدرسه خير من عشرة تطلع عليها ٩٠

احذر من وهم عظمة المنفصل و ضآلة المتّصل . و هو أن تتوهم أن الشئ أعظم مما هو على الحقيقة فقط لأنك لا تملكه ، و ثم تتوهم أن الأشياء التي تملكها فعلا سخيفة أو أقل من قيمتها بسبب ذهاب جمالها النابع من كونها بعيدة عنك . اعرف القيمة الحقيقية للأشياء بغض النظر عن كونك تملكها أم لا٩١

من ألطف الأشياء : أن تخدع من يظن أنه يخدعك ٩٢

العلاقة الجيدة لا تعني علاقة لا مشاكل فيها ، و لكن تعني علاقة مليئة بالحلول الجميلة المقبولة من جميع الأطراف ٩٣

اسوأ أنواع تدمير العلاقات ما كان مدفوعا بدافع لاشعوري للتدمير . فإن المدمر يدمر و هو لا يعرف أنه يدمر ، بل لعله ينسب التدبير إلى القدر أو إلى الله تعالى ! ٩٤

الولي لا يعرف كيف يغضب على من يغضبوه ، لأن قلبه جنة و الغضب قطعة من جهنم . و لكنه يعرف كيف يترك و يبتعد و يُعرض عن الذين يغضبوه . و من تخلّى عنه ولي بعد أن اقترب منه ، فإن قهر جهنم لن ينسيه الألم الذي سيحل عليه. و أما نعيم قرب الأولياء فإنه يغني عن الفردوس ، بل هو عين الفردوس٩٥

ما خاب من استشار...اللهم إلا إن استشار الحمار ٩٦
الكتابة سلطة و خلق ، و القرآءة عبادة ، و التوسل إلى الحقيقة بغيرها حق ٩٧
معرفة شئ من مقامات و أحوال و أفكار و آراء الأولياء هو من أحسن الطرق إلى الله ٩٨
القرءان لا يتوقف عن النزول و التنزّل ٩٩
أجمل و أشمل و أكمل الأذكار القرءآنية هو قول الحق تبارك اسمه "إنا لله و إنا إليه راجعون" ١٠٠
لا تطلب من الكاتب أن ينزل بكتابته إلى مستوى فهمك الحالي ، بل جاهد أنت لتصعد إلى مستواه. إذ لو نزل إلى مستواك فستبقى على ما أنت عليه، و أي فائدة في دراسة كتابه إذن ؟! ١٠١
اجعل رغباتك كالشجرة ; جذرها ثابت مطلق ، و أصلها ثابت راسخ ، و فروعها كثيرة جدا . فإذا تقطعت كل الفروع فإنك لن تكون في حالة تعيسة لأن جذورك و أصولك ثابتة في أرض السعادة ١٠٢
النبوة كالشمس : تشرق و تغرب و لكنها دائما على استعداد أن تشرق على ذات المخلص الذي يتوجه لها١٠٣
لو يذكر كل الناس كل آرائهم و رغباتهم بلا تورية ، لفسدت الأرض و السموات و الجبال ، و لكن التورية حق و حفظ الأسرار واجب على كل عاقل مستنير ١٠٤
العارف قد يتعامل كطفل مع الأطفال ، و صبي مع الصبيان ، و شاب مع الشباب ، و لكن لا يتعامل مع الرجال إلا من مقام العرفان ١٠٥
الخوف من الموت لا قيمة له : لأنه إن كان يوجد حياة بعد الموت ، فإذن لا يوجد "موت" إنما هو انتقال . و إن كان لا يوجد حياة بعد الموت ، فإذن أنت لن تشعر بأنك "ميت" أصلا و بالتالي لا منطق ورآء الخوف من الموت أصلا.
و الآلام التي تُرى على بعض من ينازع قبل الموت لا علاقة لها بذات عملية الموت ، دائما هي آلام جسمانية و شئ من الآلم المصاحبة لخوف المريض من الموت، و لولا ذلك لكان الموت كالنوم تماما: لا تشعر بنفس الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم ، و إن كنت تشعر بما قبله ١٠٦
من اعتاد الجلوس على الأرض ، لا يمكن تهديده بالسقوط على الأرض ١٠٧
مقابلة الأرواح للأرواح في عالم الأرواح ، هي كمقابلة الأجسام للأجسام في عالم الأجسام . فمن زعم أن الاستمداد من أرواح الأنبياء و الأولياء شرك ، فليزعم أن الاستمداد من أجسام البشر شرك أيضا. و هذا سفه . إنما الشرط أن ترى أن غير الله - المبدأ الأول و المطلق- فاعل حر في الوجود . أترى لو أن ابنا سأل أباه أن يعطيه شيئا من المال أو الطعام ، أيكون هذا من الشرك ! قس هذا على عالم الأرواح- إن كانت لك روح- و ستعرف معنى الاستمداد من الأرواح العلوية الطاهرة ١٠٨
هذا القرءآن هو الترجمة العربية للحقائق الوجودية . و إنما يأتي القرءان لمن لم يتصل بذاته بهذه الحقائق الوجودية ، أو ليكون عونا و تسهيلا لهذا الاتصال . فالقرءان ليس صنم يُعبد ، و إنما هو وسيلة حية للمعرفة الحية ١٠٩
بيوت المسلمين هي البيوت التي يُتدارس فيها القرءان و يسعى أهل البيت جميعا و يوميا إلى الغوص في بحار أنواره و الكشف عن جواهر أسراره و تلقي مفاتحه من ربه . فاللهم ارزقنا مثل هذا البيت ١١٠
معرفة منهاج المفكر في التفكير أهم من معرفة نتائج تفكيره ، و إن كان للفكرة وجود ذاتي مستقل عن الطريق الموصل إليها ١١١
تستطيع أن تعرف درجة المؤمن عند الله ، من تفسيره لآيات كتاب الله . فالقلب ينعكس في التفسير ١١٢

الذي يظنّ أن الغفلة تجلب السعادة هو كالذي يظن أن السقوط في النار يجلب الدفء ١١٣
كثر الكلام في شؤون الفكر و الذكر مفيد . و لكن التأمل الذاتي بصمت بعد تفريغ القلب من العموم أفيد و أعظم . و الله يمد الجميع بنوره . و الحمد لله رب العالمين . ١١٤

....انتهى الكتاب و الحمد لله .

الحج
السفر من الخلق إلى الحق إلى العشق

بسم الله الرحمن الرحيم . أسلمت لرب العالمين .

هذا كتاب يبحث في مسألة الطقوس الدينية بوجه عام ، و الحجّ الذي يقرّه مذهب الناس في الإسلام بوجه خاص، و يبيّن ماهية لسان النبوات و أعمالهم، و مسائل متعلقة بالطقوس و أهميتها، ثم نختم البحث بباب ينظر في سورة الحج المباركة، إذ كل سورة تدور حول محور هو اسم هذه السورة، كما تدور الكواكب حول الشمس، اشتركنا في جزء من هذا المشروع الماثل أمامك مع الأخ الكريم أحمد، و نرجو أن يكون قد بيّنا ما ينفع النا. " و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب".

-،-

(الباب الأول ، العوالم الأربعة)

يقول الله "سنريهم ءاَياتنا في الآفاق . و في أنفسهم . حتى يتبين لهم أنه الحق . أولم يكف بربك أنه على عل كل شئ شهيد "

العالم الأول هو هوية النفس المتعالية " هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن " ، و هو الوجود المطلق الواحد الأحد المعطي للخير.
وَ العالم الثاني هو عالم الملكوت ، محل النور التام ، و هو كل الكمالات التي يمكن أن تتحقق في الخلق، و هو محل سكن الروح و الملائكة و جبريل و ميكال ، و هو عالم الحق .
وَ العالم الثالث هو عالم الأنفس ، الأنفس الإنسانية ، و هي أصلا من عالم الملكوت و التي نزلت لتحقق الغاية المقدسة.
وَ العالم الرابع هو عالم الآفاق ، عالم الأجسام و الصور الذي يُرى بهذه العين التي تقرأ بها الكتاب، و هو محل الظلمة التامة ، و كل نور فيه هو من الملكوت لا غير.

و الإنسان أربعة أمور : قلب و عقل و نفس و جسم .
القلب مرآة النفس المتعالية و هو من ذاك العالم ،
وَ العقل ساكن الملكوت و هو الذي يحيا فيه كما تحيا الأجسام في عالم الآفاق ،
وَ النفس هي كالبذرة التي نزلت لتكمّل و تصبح شجرة طيبة مباركة، و تتشكل بحسب القلب و العقل و الجسم و ما يفعل الإنسان بهذه الثلاثة أمور ، فهي محل تأثر.
وَ الجسم هو من عالم الآفاق و ليس له إلا هذا العالم.

و الملكوت محل النور التام ، و الآفاق محل الظلمة التامة ، و الهوية الإلهية فوق النور و الظلمة ، و النفس نزلت من الملكوت إلى عالم الآفاق حتى تجعل كل نور الملكوت يشرق على عالم الآفاق، حتى يتّصل عالم الملكوت و عالم الآفاق، و ينجمع الشمس و القمر، و هذه هي القيامة.

و كمال الإنسان بالسعي لإكمال الأمور الأربعة التي هي هو ، و النفس هي محل حصور هذا الكمال، و المؤثرات ثلاثة ، القلب بذكر النفس المتعالية ، و العقل بالتأمل في خلق الله و كتابه و التفكير بوجه عام، و الجسم بالرياضة و حسن التغذية، ثم يحبة من فيهم من الكمالات و الزواج ممن فيه الكمالات كذلك، و ليس هناك في العالين كمال غير هذا و لا أحسن منه ، و من يعرف فليتقدم مشكوراً.

فهذه هي العوالم الأربعة من حيث التدرج النزولي : النفس المتعالية ، و الملكوت و الآفاق و الأنفس ، و هذا معنى "بسم الله الرحمن الرحيم" . "بسم" إشارة إلى النفس المتعالية، و "الله" اسم الملكوت، و "الرحمن" الآفاق، و "الرحيم" الأنفس.

و إنما تاه الناس و خلطوا لما جعلوا اسم "الله" معبّرا عن الهوية العلية، و جعلوا "ربك" دائما تعبّر عن الهوية العلية، فحاروا في القرءآن، و جاؤوا بأمور ما أنزل الله بها من سلطان، فيقرأون "إذ قال ربك للملائكة . إني جاعل " فيأتي أهل اليقين فيقولوا ، إن الرب هو الوجود المطلق ، فلا يمكن أن يكون في شئ دون شئ ، و لا أن يكون فقط متكلماً ، و هل السامع غيره، "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" و يقرأون "و جاء ربك" فيأتي مُحرّفو الكلم فيقولون "و جاء ربك" أي جاء أمر ربك، ويلك إن كان يريد ذلك لقاله، و هكذا لأنهم بحق لم يتصوروا بأن يأتي الرب يحمله ثمانية، كيف و هو حامل كل شئ، فيغفلون عن القرءآن، و يتغافلون لخلطهم بين الهوية و بين الملكوت و الروح الذي هو مظهر الله و إمام الملكوت إن شئت.

و عالم الآفاق خلقه الخالق باسمه "الرحمن" . و لذلك تجد كل سورة الرحمن تعبّر عن صور من عالم الأجسام، كالإنسان و الشمس و القمر و النجم و الشجر و البحر و ما شابه.

و عالم الأنفس باسمه "الرحيم" . و لذلك إذا ذكر النفس يختم باسم الرحيم كقوله "لا تقتلوا أنفسكم إنه كان بكم رحيما" أو لما ذكر الأمور النفسية ختم بقوله "و كان بالمؤمنين رحيما".

هذا هو مفتاح خزائن الله ، و لذلك كانت "بسم الله الرحمن الرحيم" في أوّل كل سورة"، لتتذكر هذا.

-.-

(الباب الثاني : لغة الرمز و لسان النبوات)

يقول الله " سنريهم آياتنا في الآفاق . و في أنفسهم . حتى يتبين لهم أنه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد" .

بدأ بعالم الافاق ، و هذا سرّ كون الأمثال صور من عالم الأجسام ، لأن التشخيص معبر إلى التجريد ، فالصورة من عالم الافاق تشبه الباب الذي يوصل إلى عالم الأنفس، ثم إلى عالم الملكوت ثم إلى عالم النفس المتعالية.

و تسلسل ذكر العوالم في الآية المباركة هو بحسب الاعتبار ، لأن أول ما نراه هو الصورة ، كالشمس ، ثم نقول "ما هي الشمس بالنسبة لعالم الأنفس"فندرس صفات الشمس، فنفهم أن ثمّة شمس في أنفسنا أي تناسب صفات الشمس الأولى ، ثم إلى الحق فنعرف الشمس بالنسبة للملكوت بحسب ما يوافق طبيعة و خصائص ذاك العالم مع شهود الصفات و النسب بحسب ظهورها في كل عالم بحسبه، و هو الوحي مثلا الذي يلقيه الله إلى من يشاء على قلبه ، كالشمس تعطي النور للقمر و الأرض، "يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده"، ثم إلى النفس المتعالية و هذا جوهر ليس هنا محل تفصيل

كيفية فهم الاعتبار إليه ، حسبنا في هذا الكتاب أن نفهم أن صور الآفاق معبر إلى نور الملكوت، تذكر هذا جيداً لأنه أساس البحث كله و مفتاحه، صور الآفاق معبر إلى نور الملكوت.

و أسهل طريقة لتفهيم العامة و الخاصة هي طريقة ضرب الأمثال، "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" فإن قلت مثلا لرجل ليس له همّ إلا حفظ القرءان عن ظهر قلب ، ثم تنظر إلى دعوته و كلامه و أفعاله فتراها لا علاقة لها بالقرءآن، فتذهب إليه و تقول له " يا أخي العزيز لا يكن همّك الحفظ فإن الفهم أولى" قد لا يتأثر و يفهم عمق كلامك، و لكن إذا قلت له "يا أخي العزيز ، ماذا يستفيد الحمار إن حمل ألف كتاب مقدس و هو لا يفهم ما يحمل، حتى لو حمل ألا يبقى حمارا" ألا ترى أنه سيفهم و يتأثر بعمق بهذا المثل المُصوّر أكثر بكثير من الكلام المجرّد. "و لقد صرفنا للناس في هذا القرءآن من كل مثل". فالأمثال لسان النبوات، إذ كل شئ في الملكوت له مثل في الآفاق، و كل صورة في الآفاق معبر إلى نور في الملكوت، "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" فكل ما تراه معبر إلى الله.

و قد كان الناس قليلي القراءة و الكتابة ، و قليل منهم من يصبر على هدوء الجلوس لقراءة كتاب تجريدي و فهمه، كحال الناس اليوم ، إلا أن الجهل بالقراءة كانت أكثر بكثير، بل كانت هي الغالبة في الكثير من المجتمعات . فإذا أراد أحد العلماء أن يُعلّم الناس الدين كان لا يجد بحكم حال الناس أحسن من نحت التماثيل و الرسومات المُعبّرة، و لذلك تكثر هذه في المجتمعات التي يغلب عليها الأمّية، كالهند خاصة في الأيام الغابرة. فمثلا يُصوّرون في رسمة أن رجلا له أربعة أياد ، و أربعة رؤوس على كل رأس تاج مرصّع بالجواهر، و هذا رمز على حقيقة أن الرب على كل شئ قدير ، فالعدد أربعة يُعبّر عن الجهات الأربع، الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب، و اليد تعبّر عن القدرة و القوة، فيصير المعنى أن الرب قادر على أن يفعل ما يشاء في أي مكان من الكون، و كل شئ تحت قوته، و الرأس يعبر عن العقل أي العلم ، فيكون المعنى أنه بكل شئ عليم ، و التاج يعبر عن الملك ، فهو مالك كل شئ ، و هكذا . فيمرّ الأمي و العالم و بلحظة واحدة فتنطبع هذه الصورة في مخيلته و تبقى في ذاكرته، ثم إذا فُسّرت له رسخ المفهوم في قلبه مع مرور الوقت، فتقع الفائدة المرجوّة. و استعمالنا لكلمة "أمي" هي من باب العرف فقط.

و الطقوس و الشعائر (أقول : الطقس ما لا يُفهم معناه ، الشعيرة ما يُفهم معناها ، فالطقوس عادة للعامة ، و الشعيرة عادة للنخبة العاقلة) ما هي إلا رسومات و لكن بالحركات . و الملابس و الأشياء التي تستعمل فهي رسمة أكثر تعقيدا و أعمق علما من التمثال الجامد البسيط. فمثلا يريد أحدهم أن يُعلّم الناس أن عالم الطبيعة هو معبر إلى عالم الروح المقدس، و أنه لن يستطيع أن يخرج من سجن الطبيعة إلا بالزهد في سيئات الأجسام، و أن عليه أن يأخذ من الدنيا الكفاف و أقلّ حد من المعيشة الكريمة و لا يبالي بالزخرفة و الغرور ، فيرسم لهم طقسا ، بأن يمرّوا أولا بحديقة مليئة بالأشجار، ثم بعد مسافة طويلة يصلون إلى جدار عال، و لا يوجد إلا وسيلة واحدة للنفاذ منه إلى الجانب الآخر، و هو فتحة لا تكفي لأكثر من جسم إنسان يلبس شيئا خفيفاً عادياً، ثم في الجانب الآخر يكون ثمة مناظر بديعة و جو هادئ و سكينة و ما شابه ذلك، فإذا قام رجل بهذا الطقس، و مرّ فيه و بذل فيه الجهد ليخففه على الطريقة المشروعة، ثم فسّر له العالم ماهية الرموز هذه كانت أرسخ في قلبه ، إذ إن الذي يسمع قد ينسى أما الذي يعمل فيندر أن ينسى خاصة الأمور المهمة، ألا ترى إلى الشيخ يبلغ الثمانين

من العمر و ما يزال يذكر حادث مهم وقع له ، كأن يكون رأى النبي مثلا، و هذه قوة الطقس بوجه عام، أي طقس حسن الرمز.

فإذاً نشأت التماثيل و الطقوس لغاية واحدة هي تعليم الناس، تعليم الناس و لاغير، و كانت بسبب انتشار الأمية ، وَ لأنها سبب لرسوخ المفهوم في قلب العامل و التأثر الحقيقي بالمفهوم و ليس مجرد أمر نظري و حسب، بل يغيّر النظرة إلى الحيوة بحسب معاني الرمز، وَ لكي تبين حقيقة تقابل عالم الأجسام مع عالم الروح، فيتعلم الإنسان كيف يفهم ما حوله من أمور و أعمال، و يصبح من أولي الأيدي و الأبصار يتفاعل مع الحيوة بكل ما فيها. و يفهم المواقف التي يمرّ فيها، فيكون في كل يوم ينمو عقله، فيؤدي ذلك إلى تكامل نفسه. و هي الغاية من الحياة هنا. "قد أفلح من تزكّى".

-.-

(الباب الثالث: بحسب الاجتهاد يكون الإمداد و لا غير)

بحسب الجهاد يكون الاستعداد ، و بحسب الاستعداد يكون الإمداد ، و هذا هو الحكم الذي يحكم كل أمور الحيوة و العلاقة مع الله و كل الشرائع و الطقوس و ما أشبه .

نضرب مثلا لنبين المقصود ; الشمس واحدة و هي تشرق بكامل ما فيها على الدوام ، فلو كان وقت الظهيرة كان إشراقها على أتم أحواله ، ثم يوجد رجل قابع في بيته ، تحت الأرض ، داخل قبر ، هل سيصل إليه نورها التام أو حتى شئ منه ، فلو جلس هذا الرجل في مكانه و قال "ما هذه الشمس الظالمة التي لا تمدّني بنورها" ألسنا نقول له "أيها الغبي المعاند. اخرج من قبرك و تعرّض الشمس يصلك نورها، هي أعطتك نورها و لكن هل قبلت أنت" ، كذلك كل عطاء من الله، إذ لو أعطى الله المجتهد و غير المجتهد على السواء لم يكن ذلك العدل الأحسن "أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون" "أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون" .

و بناء على ذلك ، من أراد أمراً يجب أن يجتهد في سبيله ، و بحسب اجتهاده ، الظاهر و الباطن ، يكون العطاء من الكريم سبحانه .

و من هنا نفهم أن أعمال الطقوس الربانية هي من باب الاجتهاد و للاستعداد لقبول الإمداد، فكل رمز تعمله هو سبب لنيل النور الذي يحويه هذا الرمز، فمثلا من طاف حول الكعبة بحضور جعل الله في قلبه حب أن يكون كتاب الله محور حياته و ما شابه ، فكل رمز سبب لتكوّن الوعاء الذي سيملأه الله بنوره و ماء الحياة من عنده.

-.-

(الباب الرابع : هل الطقس دليل على الرقي أم التدني في العلم الروحي ؟)

كلمة "كتب" تدل على الجمع و عكسها كلمة "بتك" و هي مقلوب "كتب" ، و "بتك" تدل على التفريق كقوله "ليبتكن آذان الأنعام" ، كذلك كلمة "طقس" مقابلها "سقط" فهي إذن تعني الارتفاع ، و السرّ في ذلك هو ما عرفته من كون الطقس الرباني سبب للارتفاع في العلم الروحي لأنه سبب إشراقه في حياة العامل المخلص العاقل.

و لكن يطرأ سؤال مهم و هو : إذا فهم أحد المعنى الذي يرمز إليه الطقس ، هل يغنيه ذلك عن القيام به ، و إن أغناه فهل سينال مثل ما ينال الذي قام به ؟

الجواب : أولا بما أنه بحسب الاجتهاد يكون الإمداد ، و المدد الروحي ليس مجرد فهم نظري ، و لكنه سبب لتغيير الحياة و النظر في مسائل مهمة فيها ، فلا يمكن أن يستوي في المدد من فسّر الرمز ، و من عمل به و ثم فسّره، إذ الثاني عمل و اجتهد أكثر من الأول.

فانظر كم من عاقل يستطيع أن يفهم بالنظر أن الحج هو السفر إلى الله بطي المنازل الشيطانية للظلمات الآفاقية، و الوصول إلى محور الوجود، و الوقوع في السكر بسبب ذهاب العقل في مقام عالم النفس المتعالية، الوتي المتعالي عن زوجية الخلق و العقل، حسنا ، ثم ماذا ، هل سيغيّر هذا من حياته و مشاعره كما لو أنه بذل المجهود و المحبوب في سبيل هذا السفر ، لا يستوي القاعد مع المجاهد أبدا .

ثم بما أن القيام بالرمز هو سبب لنشوء الاستعداد ، لتكون الوعاء الذي سيحل الماء فيه ، فكيف يمكن التعويض عن هذا الأمر بمجرد قرآءة الكتب و سماع الكلام، نعم لهذا الأمر تأثير و لكن قليل بالنسبة لما سيناله مَن قام بالأمر و جاهد فيه.

و بما أن غاية الطقس تثوير الحياة بإعطاء علم جديد و تجربة روحية حية شخصية، فلا يُغني عن القيام بالطقس المعين شئ غيره، و لكل نور طريق يوصل إليه ، لا يغني عن هذا الطريق شيئا مكانه .

و لكن هل معنى ذلك أنه لا يوجد من أهل الأديان و الطرق الأخرى أحد سيفهم و يشعر بما يشعر به الذين يقومون بالجمع، أليس علماء بني اسرئيل يجعلون التوراة كتاب الله محور كيانهم و حياتهم ،و هم لم يطوفوا حول الكعبة ، فكيف ذلك .

إذاً نفهم أن النور تام التجريد ، و لك دين يلبس هذا النور ثوبا يليق بأهل الطريقة و ظروفهم، هذا إن كان الدين حقا وحي من الملكوت ، و حتى الذين يتعمدون اختلاق الطقوس ستجد أن في رموزهم نورا، يظهر بحسب صدق الواضع له و مقامه الروحي و الغاية التي وضع الطقس من أجلها.

حسناً، فنقل أننا جمعنا طقوس الطرق، و درسنا معانيها، و اكتشفنا المعاني المشتركة المجردة التي تتوجه كل هذه الطقوس إليها، هل يغنينا هذا عن القيام بطقس معين دون آخر، أليس في هذا تحيز غير عادل إلى طريقة دون أخرى طالما أننا نعلم المجرّد ورآء هذه الأثواب.

أقول : من وصل إلى هذه المرتبة لا أظن أنه بحاجة إلى طقوس أصلا حتى يسأل هذا السؤال، و لكن هذا السؤال يجرّ إلى سؤال آخر ليس هنا محل بحثه ، وهو كيف نختار دينا من بين الأديان و شؤون هذا البحث الطويلة التي ليس هنا محل بحثها، و لكن نقول : على كل أهل طريقة أن يلزموها "و أن لو استقاموا على طريقة لأسقيناهم ماءً غدقا" و من نوى الله فإنه سيُلاقي الذي نوى لقاءه ، و الله عند حسن ظنّ عبده به .

و بحثنا هنا متعلق بالطقوس عامة و بالحج خاصة ، فلا نخرج عن الذي نوينا البحث فيه .

فمن أراد النور الذي في رموز الحج بكل تجلياتها في ظاهر حياته و باطنها ، فلن يجد أحسن من القيام به و ثم التفكر في رموزه ، و ليس برهان مثل العيان .

.

اعلم أن المعنى يسبق المبنى ، أي قبل أن يوجد طقس يجب منطقيا أن يوجد المعنى الذي يريد واضع الطقس أن يخترع له صورا ، أو قل يكتشف له صور تعبّر عنه، فمثلا أنا أعمل عمل معينا ، فأكتشف أن الرب على كل شئ قدير ، ثم أرسم للناس صورة رجل بأربع أياد ، هذا هو السلسل بحسب منطق الناس العقلي.

يوجد سؤال مهم ، و هو لماذا لا أُعلّم الناس هذا "العمل المعين" الذي عملته و جعني أفهم أن الله على كل شئ قدير ، لماذا ألجأ إلى التصوير ، هل لأني أذكى من الناس ، أو أطهر ، أو عندي شفاعة في السماء و واسطة ، أليس هذا من التكبّر "قُتل الإنسان ما أكفره. من أي شئ خلقه. من نطفة" أفليس من شكر النعمة أن أُعلّم الناس كما علّمني الله ، مباشرة بغير وسائط ابتكرتها بنفس ؟

الجواب الأول هو أن أكثر الناس لن تسلك الطريق الصعب الذي سلكته ، و أني أشفق على الناس من صعوبة ما كابدته. فأختار لهم الطريق الأسهل . أقول ردّا على هذا : أن الطريق الأسهل هذا هو البلاء الأعظم الذي أصاب كل الطرق الروحية و الأديان ، إذ يجعل الناس الرمرز أصناما ، و الشعيرة طقسا و عادة ، و الحياة سفاهة ، ظنّا أنهم قد أدموا "الفريضة الربانية الشرعية" و ما عليهم بعد ذلك إلا أن يهيموا على وجوههم في الأرض ، و لا ثمرة في حياتهم الشخصية أقاموا ، و لا علما فهموا ، فخير ما يصف حالهم قوله تعالى ألا ساء ما يزرون و يصفون و يحكمون.

الجواب الثاني هو أن الوحي المقدس هو الذي وضع الشعيرة و ليس رجل من الناس وصل ثم ضرب الأمثال ، فقول إبراهيم ، الذي ظهر الحج على يديه ، " و أرنا مناسكنا " يحتمل إما أنه فهم المجرّد فهو يدعو الله ليبين له أحسن المناسك و الرموز التي يجب و يمكن أن تُغلّف هذا الحجّ المجرّد ، و إما أنه يطلب من الملكوت أن يمدّه بمناسك ، يقوم بها ، ثم يتعلّمها ، لينال الفائدة الأتم كما ذكرنا من قبل ، و بما أن الجواب الأول واه لا يصدر إلا من متكبّر يريد أن يتفلسف على رؤوس العوام ، و بما أن وحي الملكوت حق ، فإذن المعنى هو أن إبراهيم دعا الرب ليعلمه مناسك هو نفسه لا يعرف المجرد الذي تحتويه ، ثم بعد أن يقيمه يفهم ما فيه ، و يمتلئ بالنور الذي يحويه ، و لو فهمنا نحن الرمز ثم قتلناه فكيف سيفهم الذين يأتوا من بعدنا . (أقول : فهذا من إبراهيم يُظهر أنه كان أميل إلى الظواهر في هذا الطور . و مما يشهد لذلك أيضا قضية أرني كيف تحيي الموتى ، و كذلك كيفية فهمه لرؤيا قتل ابنه).

فإذن بما أن وجود الشعيرة هو الأحسن من حيث استمداد النور و تثوير الحياة ، و بما أن إبراهيم الأب الروحي للطرق المقدسة كلها ، فإذن وجود الشعائر رقي إن أُقيمت كما أراد الله لها أن تقوم.

-.-

(الباب الخامس : سلبيات متعلقة بالشعائر)

لأكثر أمور الخلق إيجابيات و سلبيات ، منافع و مضار . و القرءان و العقل يقول ، ما غلب نفعه جاز أخذه ، و ما غلب ضرّه وجب تركه ، و هذا أساس الشريعة كلها، يقول الله عن أحد المحرمات "و الإثم و البغي بغير الحق" و الإثم هو الضرر ، و هنا الإضرار بالنفس ، و البغي الإضرار بالغير ، و بما أنه قال "بغير الحق" فإذاً يلزم وجود إثم و بغي بحق، فالخمر و الميسر قال الله فيهما "و إثمهما أكبر من نفعهما" ثم فصّل ماهية الضرر الناجم عن الخمر و الميسر. فلا يوجد ترك إلا لأن الضرر رجحت كفّته على كفّه المنفع.

و في الشعائر أربعة أضرار كانت و ما زالت هي السبب الأكبر لمصائب الأرض و الناس، و هي التحجّر على الظاهر و الصور ، وَ انقسام الناس إلى طوائف و أحزاب متقاتلة ، وَ الانشغال عن بناء الحياة بسببها ، وَ علّة الكهنة و نشوء الوساطة بين الإنسان و العوالم المقدسة.

{التحجر على الظاهر و الصور} و هذه هي عبادة التماثيل التي جاء ليحطمها إبراهيم، فما أبعد هؤلاء الذين أخذوا روح إبراهيم و حوّلوها إلى أصنام.

سبب هذا التحجر قد يُنظر إليه من أكثر من وجه، وجه سياسي ، و وجه الكسالى المنافقين ، و وجه الغباء المجرّد .

أما الوجه السياسي ، فإنه قد يمرّ على الناس حكّام ظلمة ، و لا يريدون أن يعرف الناس حقيقة الحيوة و العوالم المقدسة، إذ لو عرفوا لتحرروا ، و أن تسوق البهائم خير من أن تسوق الإنسان الفاهم ، و إنما يستند فرعون على غباء قومه و خفّة عقولهم "استخف قومه فأطاعوه" و لذلك ينشرون الجمود على التماثيل.

و وجه الكسالى المنافقين ، هؤلاء هم الذين يؤمنون بالدين فقط لأن المجتمع يزعم أنه يؤمن بهذا الدين، فتراه في عمق قلبه لا يريد الدين، و لكن يخشى أن ينبذه الناس و يتفرّقوا عنه، و أن يصير مُستهجناً بين الناس، و يستند أيضا على عامل التربية من الصغر، فيرسّخ في وعيه أن هذا هو الدين، و لكنه لّما كبر لم يرده و لم يقتنع به، فيصبح قيامه بالدين و الطقوس لمجرّد السمعة، أي إرضاء لصوت ينذره في داخله، أو خشيت سانجة من الموت و ما بعده، فيظن أنه لو قام و قعد بضع مرّات فإن القوة الخالقة سوف ترضى عنه و أنه في الآمنين، فإذا سمع من يحثّه على التعمق و الفهم و تثوير حياته بناء على الدين الذي في الظاهر هو يقوم به، تراه مُعرضاً بل لعله يُشنّع عليه و يقول أنه زنديق أو منحرف عن العقيدة الصحيحة. لماذا ؟ لأنه كما قال عنه أصدق القائلين "و إذا قاموا إلى الصلوة قاموا كُسالى يُراءون الناس" فتعرف المنافق بكره التعمق في الدين و تثوير حياته به.

و وجه الغباء المجرد. هؤلاء هم الذين شغلهم طلب المعيشة لهم و لأهلم ، فليس لهم وقت و لا جهد ليتعمّقوا و يفهموا و يغيروا ، إذ ما إن ينام قليلا حتى يضطر إلى العمل ، فهو يراوح بين همّ " هل سأكسب " و العمل لهذا الكسب. و هذا و أمثاله في عذر، إذ المعيشة قبل المعرفة. فإذا اتبع ما أمر الله

به على أنه أحسن منهج لتنظيم أيام الأسبوع و أوقات العمل و التكامل في النفس، فإن هذا مقدور للكل إن شاء الله، فإنه يسلم ، آما إذا خاض كالجهلة فجهله ذنب أقبح من عدم تعمقه، و كل ما يريده الله هو أن يسعد الإنسان، و ليس ثمّة تهديد و لا وعيد كما يفهم العوام، إنما يريد الله السعادة للناس-و لذلك بلْغ ما بلّغ، و يُلام الذين سببهوا صعوبة كسب المعاش على الناس في المقام الأول، و من هم و لماذا يصعبون ذلك ليس هنا محل التفصيل فيه، فهؤلاء الذين عصرتهم المعيشة و استنفدت قواهم يجدون في أنفسهم خشية الموت و ما بعده كذلك ، و يريدون النجاة ، فيقومون بالطقوس لمجرّد النجاة، و أسأل الرب أن يهلك أول من اخترع فكرة القيام ببضع حركات من أجل النجاة، فهذا الملعون قد أساء للبشرية كلها في كل مكان "و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

التحجّر على الصور النبوية كمن يشتري علبة دواء، فيلقي الدواء في المزبلة و يأخذ العلبة و يضعها جنب رأسه و يقول "سأُشفى إن شاء الله" حسناً دعوه في أمانيه.

{انقسام الناس إلى أحزاب متناحرة} لما نسوا أن النور مجرّد و إنما الطقوس أثواب لهذا النور، أصبح العوام يُفاخر بعضهم بعضاً، كل يدعي أن ثوبه خير من ثوب صاحبه بغير وجه حق، أترى لو أتيت بجوهرة و لففتها بخرقة، و جوهرة مثلها و لففتها بقطعة حرير، أيُغيّر ذلك من الجوهرة و قيمتها، كذلك النور الذي تحويه الصور واحد و المعاني احدة في حقيقتها.

لذلك يجب على الناس أن لا ينقسموا إلى أحزاب بسبب المناسك المختلفة . أنا آكل التفاح الأخضر و أخي يأكل التفاح الأحمر، هل ألعنه و أخرجه من الحياة، المهم أننا انتفعنا و شبعنا، و يجب أن نستغني عن الطقوس إن كان لا يوجد ثمة طريقة إلى تفيهم الناس حقيقة هذه الأمور ، أيهما أولى بالترك ، تقطيع رؤوس الأنعام أم تقطيع رؤوس الناس، خُلقت العوالم للإنسان ، فيذهب كل شئ للإنسان، فكيف استتا غ الناس قتل بعضهم و كره بعضهم من أجل بقعة و حجرة. هذا هو الأمر العجيب و المحيّر بحق.

هل معنى ذلك أن يقوم كل إنسان بكل المناسك في كل الأديان ؟ أقول : نحن في غنى عن ذلك ، لأن الكمال قد بيّنه الله لنا . و هذه المناسك كانت بمثابة كتاب يقرأه من لا يعرف القراءة ، فإن عرفت كمال الإنسان في نفسه و كمال الإنسان مع غيره، فأي ضرورة للقيام بكل هذه الأمور، ثم على كل من يختار دينا أن يتبع ما اختاره ، فإن وجه الله في كل شئ.

ثم ليتذكر الناس عامة و دعاة الطرق خاصة، أنه ليس عليك أن تلعن بضاعة صاحبك و جارك لكي تروّج بضاعتك ، اعرض ما عندك فإن شاؤوا أخذوا و إن شاؤوا تركوا، و نقد وجهات النظر من صميم العلم و إنما ندين الكلام الفارغ الذي يقال عن الطرق من رجل جاهل بحقيقة الأمور، و يظن أن المسائل الروحية هي أمور سطحية و سهلة المأخذ. خذ الشئ عن أهله المتعمقين ثم ابحث في النقد كما تشاء بأدب ، و الأدب أن تؤيد قولك ببرهان.

{ الانشغال عن بناء الحيوة بسبب كثرة الطقوس و الانشغال بها} هكذا يفعل الذي استسلموا للواقع الوهمي، و يريدون أن يجبروا حسر حياتهم بأن يملأ وقته بالطقوس، و التفنن فيها و الغلو في التعصب لها، و كثير من هؤلاء تراهم دائما من أهل التحجّر ، أو من أهل الزوايا و التكايا (بالمعنى السلبي) .

إنما نزلنا إلى الحيوة الدنيا لنعمرها من كل جوانبها الحسنة . و الترقي في درجات العلم ، فلا يترك الجانب الاجتماعي من أجل المعيشة ، الموت أحلى من الحياة بجهل ، فيجب أن يفهم الناس كون المناسك أمر بسيط و جميل ، يُراد منه العلم و إثراء الحياة بالمشاعر المقدسة و الحياة الحية ، فإن خرجت عن هذه الغاية أصبحت هي و اللات و العزّى في صف واحد.

يجب أن يوجّه هذا الكلام إلى الفقهاء ، إن لم تستطعيوا أن تُعلّموا الشعيرة في ظرف عشر دقائق أو نصف ساعة للبليد الغبي فإنكم تساهمون في تحويل الشعائر إلى طقوس وثنية تُعبد من دون الله ، فكثرة التفريعات و البحث عن الافتراضات ، و تطويل أمور الظاهر الرمزي هي دليل على الخروج عن الغاية، و إنما خرج الفقهاء بهذه المطولات في أمور الطقوس البسيطة لأنهم مُنعوا من البحث في المسائل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الروحية، فمن تكلّم في الأول قُتل ، و في الثاني حبس أو نفي كأبي ذر، و في الثالث تركه الناس لعدم وجود نار الوحي الحي في كلامهم، و في الرابع يُصلب أو يقتل أو ينعزل عنه الناس، فلذلك لم يجدوا أحسن من الكلام عن الحيض و ماذا تفعل إذا عطست في الصلاة، فدعونا من هذه الأمور السيئة المضرّة، و لنرجع إلى القرءآن الحقيقي، الذي يحيي روح القدس في قلوب الناس و الملكوت في عقولهم و العدل في حياتهم و الإحسان في معاملاتهم، و كل ما سوى ذلك فأن يُلقى في البحر خير له، بل يحرق حتى لا يتلوّث البحر.

و أيضا الذين يأخذون الطقوس و كأنها غاية في ذاتها يفعلون نفس الفعل . إذ يخرجونه عن غايته، فمجمل الكلام كلمة واحدة، الشعيرة بسيطة غايتها إصلاح الحياة من أحد أو كل جوانبها، و كل ما عدا ذلك وثن و لو لبس ثوب جبريل نفسه.

{علوّ الكهنة و نشوء الوساطة بين الإنسان و المعرفة} بما أن الشعيرة غالبا ما تحتاج إلى مكان معيّن لتُقام فيه، و هذا المكان يجب أن يوجد من يرعاه، و هذه الشعائر يجب أن يوجد من يعلمها للناس، كل ذلك قد يؤدي إلى نشوء الكهنة، كما وقع مع قوم نوح مثلا.

فهذا مثل قوم نوح : أئمة أموات ، و عامّة يؤمنون بهم، و كهنة المعبد و علماء الدين إن شئت هم الواسطة بين هؤلاء الأموات العظام و بين العوام الذين لا علم لهم بحقائق الأمور و هم بحاجة إلى هؤلاء الكهنة حتى يُعلّمونهم أمر الدين الذي خلّفه هؤلاء العظام، و نوح عبد صالح يدعوهم أن يصلوا إلى النور المجرد بدون واسطة الأموات، "قالوا لا تذرنّ آلهتكم".

فلا يظهر الكهنة إلا عندما يصبح أمر الدين مُعقّدا إلى درجة تمنع العوام عن فهمه، فيقولون لهم "افعلوا كذا بهذه الطريقة، بدون لماذا و لا من أجل ماذا، هكذا افعلوا ثم اذهبوا و ناموا في غُفر لكم" أما إذا ظهر أمر الدين بلغة واضحة بسيطة ، و فُصّلت الأمور بوضوح، هذا في الأساسيات طبعا، و إلا فثمة

أمور في العوالم المقدسة لا يفهمها إلا من أوتي فهما من الملكوت و تعمّق ، إنما الكلام على الأساسيات، و الشعائر هذه يجب أن يقدر على استيعابها كلها أي فرد من عامة الناس في مالا يزيدون ساعة في أسوأ الأحوال مطلقاً، و لمرة واحدة في العمر و لا يحتاج أن يسأل عن الظاهر بعد ذلك ، بل يصبح كل أمره في الباطن و إصلاح الحياة.

و ليست الفقهاء قد اتعظوا بقصة بقرة بني اسرئيل ، لماذا تتنعنّتوا في أمور الظاهر بعد هذه القصة، أم تريدون أن تدخلوا تحت الذين يخرّون على آيات ربهم صماً و عميانا. قال موسى كلمتين "اذبحوا بقرة" هذا ما يجب أن تكون عليه الشعائر و أمور الظاهر، كلمات معدودة بيّنة، من احتاج إلى أكثر من صفحة أو صفحتين ليصف شعيرة فليعلم أنه يرسم وثنا فهنيئا له حسن فعله.

و اعلم أن الناس كلهم من حيث الباطن إما يطلبون النفس المتعالية و العشق، و إنما يطلبون نور الملكوت و العلم، فأما النفس المتعالية فهي "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن" فليس مكان أولى بها من مكان، و لا مكانة أولى من مكانة، و أما نور الملكوت فقوله "لا شرقية و لا غربية" و من لم يكن في جهة معينة فهو في كل جهة، و من كان في كل جهة فهو في كل مكان، فليس مكان أولى به من مكان، فإذا الهويج و النور في كل مكان على السواء، "و هو معكم أينما كنتم" إذا كون الشعيرة في مكان معين لا يعني ذلك حصر الحق فيه، و المطلوب مجرّد ، فيستوي إن طلبته في أعلى عليين أو في قهر الجحيم "فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".

و لا شئ يفصل الإنسان عن الهوية إلى غفلته عنها، و لا عن نور الملكوت إلا عدم وجود الرغبة له في قلبه و عقله، فالذاكر الراغب قد نال كل شئ "و جعلكم ملوكا" فالوساطة في أمر الهوية العلية هي لمجرد التذكير "فذكّر إنما أنت مذكّر"، و الوساطة في أمر الملكوت هي للتحريض و الدعوة بالكلام "و حرّض المؤمنين" و أي وساطة غير هذه هي غالباً، إن لم يكن دائماً، وساطة السوء و عبادة الأحبار و الرهبان و اتخاذ الشفعاء، التذكير و التحريض هي وساطة الرسل لا غير.

فعلى كل إنسان أن يسعى للاتحاد بالعوالم المقدسة، كيف ، و بأن يظهر كمالها فيه، كل عالم و ما يعطي، و ما على الإنسان إلا الاجتهاد لقبول العطية من كل اسم من الأسماء الحسنى "استجيبوا إلى الله و الرسول إذا دعاكم لما يُحييكم".

فهذه هي سلبيات الطقوس الأربعة ، من تجنّبها كانت الشعيرة خير له و إلا فلا.

-.-

(الباب السادس : سورة الحجّ)

السورة في القرءآن عالم كامل ، يشبه نظام الكواكب ، محور حوله تدور المواضيع. فمحور السورة هو اسمها، و مواضيعها و باقي مقاطعها تشبه الكواكب التي تدور حول الشمس، هذا بحسب أحد الاعتبارات. فإذا نظرنا إلى سورة ما، و أردنا أن نزداد تعمّقاص في فهم اسمها، علينا أن ندرس السورة، و نعقل الرابط بين مقاطعها و اسمها، و هذا جهد عظيم لا محل له في هذه الصفحات المختصرة، و مع ذلك نبحث في سورة الحج المباركة و نرى ماذا يفتح الله لنا.

يظهر أن في السورة نحو اثنا عشر مقطعاً متكاملا :{الناس و الآخرة } و {الجدل في الله} و {البعث و البرهان النفسي و الآفاقي الطبيعي} و {العبادة الخالصة لله و الرد على ظنون المشركين} و {القرءآن و حقيقته} و {فرق الناس و كون الله هو الذي سيفصل بينهم يوم القيامة} و {كون كل شئ ساجد لله و الوحيد هو الإنسان في اختيار السجود طوعاً أو كوها و أنه اختار بعضهم منهم الكره} و {من عذاب أهل النار و نعيم أهل الجنة} و {الكفار الصادين عن سبيل الله ، و أن إبراهيم هو الذي أظهر الله أمر الحج} و {الإذن بالقتال للمظلومين الذين يريدون أن يبنوا مجتمعا ربانيا} و {تبيين تكذيب الأولين للمرسلين} و {الحث على السير في الأرض لطلب العلم} و {إمهال الله و حلمه بالجهلة علما أنهم سيصلون إلى أمره عاجلا أم آجلا} و {دعوة النبي للناس ، و أصناف الناس في الرد على دعوة النبي} و {أحكام و أخلاق يحث عليها الناس عامة و المؤمنين خاصة} و {من آيات الخلق و الطبيعة} و {مثل آفاقي لبيان مصدر القوة و النور في العالمين} و {اصطفاء الله لرسل الملائكة و رسل الناس} و {وصية جامعة للمؤمنين} .

سأضرب مثلا يكشف عن الرابط لكل هذه المواضيع، و ترى أنها وحدة تامة متكاملة إن شاء الله.

كان لملك أرض واسعة ، بنى نصفها، و زيّنها بالقصور و الأشجار و الطيور و الثمار و كل ما تشتهي الأنفس و تلذّ له الأعين، و كل أهلها يحيون في سلام و حبّ.

و كان له ابن ، و أراد الملك أن يظهرعظمة ابنه المحبوب هذا، و كان النصف الثاني من المملكة الواسعة صحراء قاحلة، عكس مملكته الأولى تماما، فأمر ابنه أن يأخذ كتابا فيه تصميم المملكة الأولى، و الأحكام التي تجري فيها، و الأخلاق التي في أهلها، و قال له "اذهب أنت و زوجك إلى تلك الصحراء، و ابنها أنت و ذريّتك حتى تصبح كمملكتي هذه، و عندما تنتهي سآتي أنا و أهل مملكتي لنزورك و نسكن عندك، و و تصبح مملكتي واحدة تامة" .

و أرسل معه كتاب التصميم و أرسل معه جندي من الجنّ ، لا يراه ، و لكن يحسّ بأثره و أثار أفعاله ، و مهمة هذا الجندي الجنّي الشديد الغليظ أن يضربه بسوط كلما فكّر أن يخرج عن الغاية التي نزل من أجلها، تذكيراً له بأصل مهمّته ، فصار عنده وسيلتان للوصول إلى الغاية، العمل طوعا بكتاب التصميم، أو كرها بالبعد عن ألم سوط العذاب من هذا الجنّي.

و بعد مرور أجيال ، بدأت الذرية تطغى على الغاية التي نزلوا من أجلها ، فاضطر ورثة كتاب التصميم إلى إخفاء الكتاب عن أعين الطواغيت حتى لا يخرّبوه فيبقى الناس في اضطرار لسوط العذاب ليعلموا متى أخطأوا، و في كل فترة يظهر أحد الأبناء العلماء بالكتاب ليعلّم الناس ماهية المملكة الأولى و يدعوهم إلى بنائها حتى يأتي الملك فرحا بما حققه أبناءه، و كانوا يواجهون صعوبات و يضطرون أحيانا للقتال حتى لا تفسد الغاية من الإتيان إلى الصحراء.

اعلم الآن أن هذا هو ما وقع لنا نحن الناس بنو ءادم، فالملك الأول هو الرب ، و المملكة الأولى هي الملكوت، حمل النور التام، و الصحراء هي عالم الآفاق ، محل الظلمة التامة، و نحن كنّا في الملكوت و

نزلنا إلى الآفاق، و لبسنا الجسم لكي نأتي بالنور من الملكوت إلى الآفاق ، حتى يتم الإشراق ، و يصبح الملكوت و الملك كلا واحدا ، "و جمع الشمس و القمر" ، و كتاب التصميم هو كتاب الله، و العلماء هم الرسل و الأنبياء و الأئمة الأولياء.

و لذلك بدأت السورة بقوله " يأيها الناس " و ذكر الآخرة ، و هي يوم الكمال . أي يوم يصبح عالم الآفاق أكثره العلماء ، كما أنه اليوم أكثره الجهال ، ثم يزداد عدد العلماء شيئا فشيئا ، بتأثير المجتمع ، لأن الحكيم الذي يسكن وسط السفهاء سيصبح سفيها مثلهم ، كذلك السفية الذي يسكن وسط الحكماء قد يصبح حكيما مثلهم، و أولاده إن لم يكن هو نفسه، فإذا تم الأمر ، و هو أن يصبح كل المجتمع أهل عقل و جسم و عطاء عندها قد تم الأمر الذي خلق الله الخلق من أجله ، و هو توحيد الملكوت و الملك . و الناس هم كل ذكر و أنثى عاقل في العالم "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل و لتعارفوا" فأتى بالنهاية في البداية.

ثم يبدأ التدرج في التعليم ، فيبدأ في {الجدل في الله} " و الله" يعبر عن الحق ، و الخير ، و الكمال ، و الجدل في أي المجتمعات أحسن، و أي الأخلاق أحسن، و أي الأعمال أحسن، و كيفية تطوير الأمور، كل هذا هو أول أي تحسين و تطوير في العالم كله.

ثم { البعث و التدرج في البناء } فكما أن الإنسان يتدرج من النطفة، و يمرّ بمراحل كثيرة حتى يصل إلى الكمال، كذلك المجتمعات، تتدرج ،و الجاهل قد يرى النطفة و يقول ، ما هذا السوء و العبث ، و لكن لما يراه قد أصبح يوسف يقول " إن هذا إلا ملك كريم " كذلك ، من يرى المجتمع و حال الناس قبل الوصول للكمال يتهم الخالق بالسوء . و لكن لما يتم الأمر ستتغير النظرة ، كذلك في أمر الثمرة ، و خلق الإنسان و خلق الأشجار هما أحسن و أتم مثال لبيان التدرج في الوصول إلى الكمال، و أن كل شئ سيصل إلى الكمال عاجلا أم آجلًا. عاجلا إذا توجه الناس لفهم الأمر عن الله، و آجلا إذا قرروا أن يسلكوا سبيل التجربة و الفشل و الألم، فهو طريق أطول ، أي الأمرين أسهل : أن تذهب إلى طبيب بذل عمره في دراسة الطب و تأخذ منه الدواء، أو تقول "لا لن آخذ الدواء حتى أذهب و أدرس الطب و أكتشف الدواء من الصفر" كذلك الفرق بين الهداية بأمر الكتاب و الهداية بسوط العذاب، و لذلك جاء بمقطع {العبادة الخالصة لله و الرد على ظنون المشركين} .

ثم يبيّن ماهية طريق الهداية بأمر الكتاب ، فيأتي بمقطع {القرءآن و حقيقته} .

و بما أن الخالق قد أعطى حرية الاختيار للإنسان بين أمر الكتاب و سوط العذاب، و هو الإسلام طوعا أو كرهاً، جاء بمقطع {فرق الناس} و يوم القيامة ، يوم الكمال ، سيتبين للناس الوهم من الخير و السوء من الحسن ، و هذا معنى فصل الله بينهم.

ثم بيّن كون كل شئ ساجد لله ، أي كل شئ سيصل إلى أمره، و هو سوط العذاب بالنسبة للناس، فجاء بمقطع {كون كل شئ ساجد لله} .

ثم يبين الفرق بين حال من أخذوا بالرحمة و أمر الكتاب ، و الذين اختاروا الشدة و سوط العذاب، فجاء بمقطع {عذاب أهل النار و نعيم أهل الجنة}.

ثم بين الداعي إلى الملكوت و النفس المتعالية بعد ذلك، و الذين يحاربون أمثال هذه الدعوة المقدسة فجاء بمقطع {الكفار و إبراهيم} و هذا هو محور السورة.

و بما أن المتألهين إذا خنعوا لكل من تسوّل له نفسه الاعتداء على الأولياء فإن الأرض ستفسد، لغلبة الطاغوت على حكم الملكوت، فجاء بمقطع {الإذن بالقتال في سبيل الملكوت و حكمه} ليردّ على هذا الفساد بالعلاج النافع.

ثم التكذيب قد يكون بالحرب الجسمانية ، و هي ما ردّ عليه في المقطع السابق، و قد تكون حربا فكرية و هذا ما ردّ عليه في مقطع { تبيين تكذيب الأولين للمرسلين } .

ثم بين الطريق إلى تقدير ما جاء به الأنبياء و هو كون الإنسان من الذين يرغبون في معرفة حكم الله و النور التام ، فجاء بمقطع {السير في الأرض لطلب العلم } إذ بذلك ينشأ في الإنسان الاستعداد لقبول الوحي.

{إمهال الله للجهلة} هو الذي يبين للناس فيه كونه راضٍ عنهم ما داموا يطلبونه، و حتى لو لم يطلبوه واعين لذلك الطلب فإنهم سيمرّون بالمصاعب حتى يقرروا أن يطلبوه ، فالكل إليه راجع.

و {دعوة النبي} هي الرحمة لهؤلاء الراغبين في الملكوت و القدرة على دراسة كتاب الخلق مباشرة هي من أهم ما يعمله الأنبياء، حتى يرجع الناس كلهم إلى {مصدر القوة و النور في العالمين} بلا وسيط و لا شفيع.

ثم {اصطفاء الله للملائكة رسلا و من الناس} يبيّن كيف أن الرسل هم أول الدعاة و أساس العلم في الناس. ثم يختم ب{وصية جامعة للمؤمنين} بالملكوت، إذ عليهم أن يبنوا الآفاق، ثم ليفنوا في العشق المتعالي "و أن إلى ربّك المنتهى".

إذن السورة تقول; أن الخالق قدّر غاية الخلق، و هي الوصول إلى السعادة التامة به، ثم خُيّر الناس بين سلوك الطريق الموصل لها طوعا أو كرها، الرسل مظهر طريق الطوع، أمر الكتاب، و الطاغوت هو مظهر طريق الكره، سوط العذاب، و أن القرءآن جامع كل شئ في الطريق الممتع السهل العميق، و الباقي تفاصيل في هذه الأمور.

فلنختار ٧ مسائل من هذه السورة المباركة حتى يزداد البيان في ماهية الجمع إن شاء الله.

١{ ما معنى كون الناس سكارى عندما تقوم الساعة }

إن القرءان نزل ليعبّر عن قدر الخلق و الوصول إليه، و بما أن الغاية من نزول أنفسنا من الملكوت إلى عالم الآفاق المظلم هو لكي نجعل نور الملكوت يشرق في تمام الإشراق، حتى يتّحدا "و جمع الشمس و القمر" فإذن القرءان يعبّر عن هذه الحياة، و يعبّر عن أمور نستطيع فهمها و يجب العمل بها.

و لقد رمز إلى حالة الاتحاد هذه بين الملكوت و الآفاق باسم الساعة، أي ساعة التمام، و كل أسامي اليوم الآخر في القرءان الكريم هي اعتبارات مختلفة لنفس الأمر، كمن يصف بيتا من وجوهه المتعددة المختلفة.

فالساعة يوم الاتحاد بين عالم الملكوت و عالم الآفاق.

و العوالم الأربعة : العلي العظيم ، و الملكوت ، و الآفاق ، و الأنفس .
و عالم الأنفس هو من الملكوت ، فلا يعتبر في حقيقته عالما مستقلا تمام الاستقلال .
و العالم الأولى ، العلي العظيم ، الوجود اللامتناهي، لا يمكن تغييره أو التأثير فيه أو أي شئ، إلا العشق فقط .
فإذن العوالم على التحقيق ، عوالم الخلق ، هي اثنان ، عالم الملكوت ، النور التام ، و عالم الآفاق، الظلمة التامة.

و نحن ، الأنفس ، نزلنا من الملكوت إلى الآفاق لنجعل النور الأول يشرق في الثاني،
فإن كان الأولى لأهل الآفاق جلب نور الملكوت ، و هذا عملهم، فماذا يعمل أهل الملكوت ،
أن يفكروا في أنفسهم ، لا يمكن لأنها أنانية تنافي النورانية، أن يفكروا في إصلاح عالم الآفاق، لقد تم الإصلاح و تم الاتحاد و قضي الأمر، فماذا بقي، العالم الأول، النفس المتعالية.

و عالم الملكوت هو العقل، الزوجية، أما عالم النفس المتعالية فهو للقلب، الوحدة و البساطة، العشق، و لذلك "ترى الناس سكارى" لأن توجههم أصبح للنفس المتعالية، الوتر المتعالي عن زوجية الخلق، و هذه هي النهاية، نهاية الخلق التأله في العشق "و لكن عذاب الله شديد".

-.-

٢{ العبث و البعث }

الخالق يتجلى . أي يظهر شيئا فشيئا، و هذا التجلّي هو بحسب المرآة لا بحسب وجود المتجلّي، فمثلا ، المرآة التي عليها غبرة، إن وقف أمامها يوسف الكريم، هل سيظهر وجهه على المرآة، لا ، هل معنى ذلك غموض وجهه، أو بشاعته، أو عدم وجوده، لا، و لكنّ غبرة المرآة هي المانع من تجلّي يوسف، فإذا جاء الماء، و نزل من السماء، على المرآة ، و بدأ شيئا فشيئا يزيل الغبرة التي على المرآة. فسيبدأ يوسف بالظهور شيئا فشيئا، بقدر سرعة غسل الماء لوجه المرآة، و هكذا بلوغ السعادة و إتمام أمر الخلق.

فالناظر للوهلة الأولى في الخلق، الذي ما يزال في قيد التطور، قد يقول ، "ما هذه الحياة السيئة، ما هذا العبث" و لكن إذا ظهر وجه يوسف بعد تمام الغسل قال "حاشا لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم".

تأمل في خلق الإنسان، نطفة ثم علقة ، ثم مضغة مُخلّقة و غير مخلّقة، ثم العظام، ثم يكسو العظام لحما، ثم الميزة الشخصية ، ثم طفلا ، ثم شابا ، ثم يبلغ أشدّه ، ثم كهلا ثم شيخا ثم يموت ثم يحيا في الملكوت. و كذلك الشجرة ، تبدأ بذرة ، ثم تبدأ بالنمو و تضرب بجذورها في باطن الأرض، و ثم تبدأ أصولها في النمو، ثم بعد مرور وقت طويل من الرعاية، تصبح شجرة باسقة لها ثمر لذيذ عظيم و ظلّ مديد و منظر بهيج.

لو نظر الغافل إلى النطفة و إلى البذرة، أكان يتصور أن النطفة ستصبح المسيح عيسى بن مريم، و أن البذرة ستصبح شجرة طيبة مباركة، هذا هو الفرق بين من يؤمن بالعبث و من يعلم البعث، تأمل أن الحروف نفسها في الكلمتين، و الفرق في ترتيب الحروف فقط، كذلك هنا الفرق ليس في أن الناظر المؤمن بالعبث يرى أمرا غير ما يراه صاحب العبث، لا ، و إنما العابث يرى البذرة و يتوقف، يرى النطفة و يتوقف، أما المؤمن بالبعث فيتصور المسيح و هو ي النطفة. ،و الشجرة و هي في البذرة. "و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون".

فتاريخ الناس، و كل ما مرّوا به من تجارب و ترقوا فيه من علوم، و كل المجتمعات لا محالة ستصل إلى ساعة تبلغ فيها إلى الكمال، اتحاد الملكوت بالآفاق، لا يزالوا يتطورون و يجربون حتى سيختار الناس الملكوت و يصلوا رلى ما نذكره هنا، عاجلا إن فكراو و اختاروا طوعا، و آجلا إن قرروا أن يسيروا كالعمي يساقون من وراء ظهورهم كالمجرمين، و لكن الغاية واحدة و الكل سيصل إليها، لأن الرب يريد أن يعطي السعادة و الناس تحب السعادة، و لكن نظن السعادة في أمور هي في الحقيقة شقاوة، و لا يزال الرب يربّي الناس بأفعاله، و يدخلهم في التجارب حتى يختاروا، بعد أن يعرفوا و يميزوا السعادة و الشقاوة، يختاروا طريق الله، إتمام الاتحاد بين الملكوت و الآفاق، و عقد هذا القران وَليّه الناس أجمعين، و هذا معنى أولياء الله، أي أولياء تزويج عالم الملكوت من عالم الآفاق، "و إن تتولّوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" فأنتم أحرار، هل تريدون أن يتم هذا الزواج المقدس على أيديكم، أم تموتوا و ترجعوا إلى الملكوت أولا، ثم يجعل الله غيركم يتم على أيديهم هذا الزواج. الأمر لك أيها الكريم.

"و أن الساعة آتية لا ريب فيها" صدق الله العظيم.

-.-

٣{ما هو "البيت" ، و معنى بيت الله}

البيت هو المكان الذي يسكن فيه المرء، و أفكار الإنسان و منهج حياته هو المكان الذي يسكن فيه، إذ المنهج الذي يختاره ، أو يكتشفه العاقل أو الجاهل هو كالبيت الذي تسكن فيه الأجسام.

فبيت الله هو دين الله.

و دين الله هو الإسلام ، و الإسلام هو الإيمان بالله و اليوم الآخر و العمل الصالح، و هو ما يجب أن يكون الموحد لكل الطرق ، طرق الإيمان ، يقول الله "إن الذين ءامنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين ، من ءامن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحاً، فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم

يحزنون" فرطق الإيمان تختلف، أما الجوهر المشترك بينهم، و القاعدة التي يحب الله أن تقوم عليها كل هذه الطرق هي الإسلام، و بذلك يتوحد الناس في القاعدة و يختلفوا، اختلاف تنوع و جمال في البناء و شكله، كالطعام على المائدة، يجب أن يشترك كل ما على المائدة من ألوان الطعام في كونه صحيا سليما، أما الأنواع فيجب أن تختلف، إذ ما أسوأ المائدة التي ليس عليها إلا لون واحد من الطعام، أليس هذا سبب للغثيان، و هذا معنى التوحد في الإسلام و التنوع في الإيمان.

و "الإيمان بالله" هو استعمال العقل و رفعه إلى مقامه في الحياة، و "الإيمان باليوم الآخر" هو اليقين بأننا لسنا عبث و أننا سائرون إلى الكمال في كل نواحي الحياة، و "العمل الصالح" هو العمل على بلوغ الكمال، في مختلف مناحي الحياة. و لكل نوع من الأعمال عمل صالح بحسبه.

و بما أن الإيمان بالشئ ليس زعما باللسان، و إنما يترجم عنه العمل، "لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" فلذلك، الإيمان بالله و اليوم الآخر مجرد زعم حتى يصدقه العمل الصالح، فإذن على التحقيق الإسلام هو العمل الصالح، و لذلك لا ترى في القرءآن أنه يقول "من ءامن بالحق عمل صالحا" أبدا، و لكن "الذين ءامنوا و عملوا الصالحات". همذا "ءامنوا" مجردة، ءآمنوا بماذا، لا يهم، طالما أنهم يعلمون الصالحات فلا شك أن إيمانهم صالح و حق، إذ كل إناء ينضح بما فيه، و لن تخرج الجواهر من مزبلة، أما الذين لا يخرج منهم إلا العفن ثم يزعمون أنهم أهل الحق، فهؤلاء اعلم يقينا أن عقولهم مزابل. "كل يعمل على شاكلته".

و بما أن الأصل في كل شئ جوازه، و إنما التحريم عارض، كآدم في الجنة، كل الشجر يجوز له أكله، إلا شجرة واحدة، كذلك كل الأعمال جائزة، إلا قلة، و هذه القلة هي التي يبينها الله، و يسميها "محرمات"، و قد يكون المحرم "لا تفعل" مثل "و لا تقتلوا أولادكم من إملاق". و قد يكون المحرم "افعل" كقوله "و إذا قلتم فاعدلوا".

و المحرمات سبعة عشر محرما حصرا، ذكرها القرءآن تفصيلا، عشرة أصلية و سبعة تتفرع عن أحد هذه العشرة. فمثلا قوله "و أوفوا الكيل و الميزان" محرم أصلي، و قوله "و حرّم الربا" فرع هذا الأصل، لأن الربا نوع من عدم العدل في المعاملة المالية.

و المحرمات العشر هي ما ذكره في سورة الأنعام ، آية ١٥١ إلى ١٥٣، التي تبدأ بقوله "قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم" و هي عشر وصايا، لأنها تختم بقوله "ذلك وصاكم به".

فإذا دين الله هو بيته، و دينه الإسلام، و الإسلام العمل الصالح، و العمل الصالح حفظ الوصايا العشر كاملة بفروعها السبعة.

و إذا تأملت في المحرمات كلها ستجدها ترجع إلى ثلاث قواعد، الأولى "إن تصرفت في ملك الغير فعليك أن تحافظ عليه و إلا وجب عليك الضمان لما أتلفت" ، و الثانية "لا تعتدي على نفس الغير و إلا وجب عليك القصاص أو إرضاؤه أو أهله" ، و الثالثة "إن استأجرت أحدا في عمل فعليك أن تدع له أجره إلا أن يعفيك بطيب خاطر"، و هذه الثلاثة هي أساس كل شريعة الله و العدل في العوالم كلها، و عليها تقوم

الحياة الطيبة لكل فرد فس نفسه و في المجتمع ككل، و على هذه الثلاثة يقوم المجتمع المقدس من حيث التعامل.

و إذا تأملت في هذه الثلاثة وجدت أنها ترجع إلى قاعدة واجدة و هي "عامل كما تحب أن تعامل" لأنه لا يوجد سليم يجب أن يخرب له أحد أملاكه، أو يعتدي على نفسه أو يسلبه حقه الذي اكتسبه بجهده، فإذا أءساس بيت الله هو "عامل كما تحبّ أن تُعامل" فمن تذكر هذه الكلمة استغنى عن ألف فقيه.

و بما أن الحج هو للبيت، إذا على كل إنسان أن يتعلم المحرمات السبعة العشر، و هذا هو الحج، و لذلك قال "و من يُعظّم حرمات الله" و مجموع هذه المحرمات هو المسجد الحرام، لأنه معبد الله الوحيد في هذا العالم، و كل ما عدا ذلك إن لم يُذكّر بهذا المعبد فهو و معبد الأوثان سواء بسواء.

"و لله على الناس حجّ البيت" كل الناس ، و لم يقل المؤمنين بمحمد عليه الصلاة و السلام، و لا المؤمنين بإبراهيم عليه السلام، كل الناس ، و من هم الناس ، يقول الله "يأيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا" فالناس كل ذكر و أنثى عاقل في العالم كله، كل هؤلاء عليهم أن يتعلموا دين الله، و لذلك قال بعدها "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" و ما هي التقوى، يقول في ختام الوصايا العشر "ذلكم وصابكم به لعلكم تتقون" فحفظ حرمات التعامل المقدس هو التقوى، فدين الله هو التقوى، و بما أن أساس الدين "عامل كما تحب أن تعامل" فإذن على كل الناس في العالم أن يحفظوا هذه الوصية الكبرى "عامل كما تحب أن تعامل" و الباقي تفصيل لهذه الوصية الكبرى، و هذا هو الحجّ.

-.-

٤{ ما سرّ كون الحجّ ظهر بإبراهيم}

إبراهيم و إسحاق و يعقوب و يوسف رموز على العوالم الأربعة .
إبراهيم العلي العظيم ، إسحاق الآفاق ، يعقوب الملكوت ، يوسف الأنفس.

و بما أن الحج هو السفر إلى الله، و اسم "الله" إما النفس المتعالية، أو الملكوت في الأصل. فاعتبار أن السفر إلى الله هو السفر إلى النفس المتعالية يوجد سر، و باعتبار أن السفر إلى الله هو إلى الملكوت فيوجد سر، و الأول هو الأصل، لأن كل شئ من النفس المتعالية، العالم الأول. "هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن"، و إليه يرجع كل شئ "إنه هو يبدئ و يعيد" و "إليه يرجع الأمر كله" فلننظر في هذا الاعتبار إن شاء الله.

تذكر أن الشئ لا يقدر أن يعرف نفسه بنفسه، و إنما يحتاج إلى غيره، فالعين مثلا لا تستطيع أن ترى نفسها، فإذا جئت بمرآة، و وضعتها أمام عينك عندها تستطيع العين أن ترى نفسها، بواسطة المرآة، كذلك لا يستطيع أحد أن يعرف حقيقة صفته إلا إذا رأى صفته غير صفته، سواء أنه هو نفسه غير صفته الأولى أو رأى من يتخلق بهذه الصفة الثانية، فيقارن ذلك بنفسه فيعرف حقيقة صفته، فمثلا في مستشفى المجانين كلهم يرون أنفسهم عاقلين، فإذا دخل عليهم نبي مقدس قالوا "هذا مجنون"، و لو ولد رجل وسط أنبياء، كل المجتمع أنبياء، و هو أيضا نبي، لن يستطيع أن يعرف حقيقة كون الإنسان نبي و

يقدر ذلك حق قدره، إلا إذا رأى الشقي، أو أن يتخلّى هو عن بنوته ، فيقارن حاله قبل التخلي و بعده، فيعرف.

فإنما يعرف الشئ نفسه بغيره، و يعرف صفته بمقارنتها مع صفة أخرى.

النفس المتعالية أرادت أن تعرف نفسها، و هي الوجود اللامتناهي اللامحدود، المطلق، هذه حقيقتها، و هي عطاء محض، و هيه صفتها. فلكي تعرف نفسها، أي ترى حقيقتها و تعرف صفتها خلقت عكسها تماما، خلقت مخلوقا محدودا متناهيا، و صفة هذا المخلوق الأخذ المحض، فلما رأت المحدود عرفت و رأت أنها غير محدودة، و لما رأت الذي لا يحبّ إلا الأخذ عرفت و رأت أنها عطاء محض، فالخلق مرآة الخالق لنفسه، فلما رأت نفسها و عشقت جمالها، عشقت كذلك سبب هذا العشق، إذ السبب إلى المحبوب محبوب، فالسبب إلى المعشوق معشوق.

إبراهيم رمز النفس المتعالية ، و بما أنه على كل الناس أن تقبل العشق المتعالي في خاتمة المطاف و نهاية السفر، و بما أن نهاية الدائرة هي في عين بدايتها، و بدايتها عين نهايتها، فبما أن العشق هو النهاية فيجب أن يصدر السبب الموصل إلى العشق من البداية، و رمز البداية هو إبراهيم ، و لذلك ظهر الحج به.

و اسم إبراهيم يشير إلى أدق تجليات العشق، إذ هو مركب من "إبرا" و "هيم" ، "إبرا" إشارة إلى الإبرة، و هي أدق الأشياء التي تخيط الثياب، و هذا رمز على الشئ الذي يجمع الأشياء. فكلما "إبرا" تشير إلى أدق الأشياء و الجامع بين الأشياء، و كلمة "هيم" من الهيام، و هو شدة الوله و العشق و السكر بالمحبوب إلى درجة الفناء فيه، فمعنى اسم إبراهيم، العاشق للجامع بين الأشياء كلها، الذي يرى معشوقته في كل شئ ، حتى الإبرة ، و يرى وجهها في كل شئ، حتى أصغر الأشياء، و يهيم بها في كل مظاهرها و تجلياتها، فتستوي عنده الإبرة و المجرة، لأن كل شئ هو عين وجه المعشوق.

و كما أن الاكتشاف يُسمّى باسم الذي اكتشفه، و يصبح رمزا عليه، كذلك المقامات الروحية و العلمية تسمى باسم الذي وصل إليها و يصبح هو رمز عليها، فاسم الشئ رمز عليه و على حقيقته، و إذا ذكر الله اسما في القرآن كان في هذا الاسم إشارة إلى العلم الذي يدلّ عليه.

فإذن بدأ أمر الخلق من النفس المتعالية و كل شئ صائر إليها، و بين البداية و النهاية سفر، و لذلك إبراهيم رمز البداية هو الذي أظهر أمر السفر إلى النهاية ، و هو الحجّ .

-.-

٥ {ما معني كل هذا التأكيد على أهمية بهيمة الأنعام ، و البدن ، و كون الأنعام سبب للامتنان الكبير و كأنه من أساسيات الحج و رموزه}

قبل أن ننزل إلى عالم الآفاق ، كانت نفوسنا حية في عالم الملكوت ، و لما اخترنا النزول لتحقيق مهمة بناء مملكته في الآفاق تساوي مملكة الملكوت من حيث الصفات و الحقيقة، و كان الرب قد أراد لنا هذا التعظيم، التقدم على كل جنود الملكوت و نكون حملة أمانة بناء المملكة، و إتمام الاتحاد بين الملكوت و

نوره و الآفاق و ظلمته، لم يكن ثمة سبيل إلى بلوغ هذه الغاية إلا إذا لبسنا الأجسام، الذي هو من عالم الآفاق.

و الأنعام و البدن هي تذكير بالأجسام و الأبدان، إذ لو ألغيت العقل و القلب من الإنسان ماذا يبقى منه، جسمه، فإذا أصبح أساس حياته مبني على أمور الجسم فقط ، و أصبح لا يرى غير ذلك، يقول الله عنه في هذه الحالة "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون"، تأمل العين الباطن ، "إن هم إلا كالأنعام"، فإذا نظرنا إلى البهائم تذكرنا أننا إذا أسسنا حياتنا على أننا أجسام تريد أن تحيا لمجرد الحياة و تنازع البقاء، فإننا قد خرجنا عن حد الإنسان، و أصبح في حدّ البهائمية، "بل هم أضلّ سبيلا" لأنه لم تعطى البهائم ما أعطى الإنسان، فيشبه الأمر فقير يتسوّل و يسأل الناس مالا و يذل نفسه، و غني عنده كنوز عظيمة و مع ذلك يستوّل و يذلّ نفسه من أجل المال، ألا يكون الثاني أحقر و أضل سبيلا من الأول، لأن الأول لعله معذور بفقره، أما الغني الذي كفاه الله الذي بالكنوز لماذا يذلّ نفسه، فهو أذلّ من الأول حتى و هم يفعلون نفس الفعل.

و سميت الأنعام من النعمة لأن هذه الأجسام من أكبر نعم الله علينا، لأنها سبب لرفعتنا، و علو درجاتنا، إذا عملنا بها كما ينبغي أن نعمل، و هو أن نعرف سبب نزولنا و نؤسس كل حياتنا على ذلك.

من تراه أعظم في الحب، رجل يسكن في نفس بيت محبوبته فهو يراها كلما أردا بدون أي جهد و صعوبة، أم رجل يسكن في بلدة ثانية بعيدة، كلما أراد أن يرى محبوبته اضطر إلى قطع المسافات، و مواجهة الوحوش، و الجوع و العطش، كل هذا لكي يراها و يصل إليها، لا شك أنه الثاني، كذلك الفرق بين الملائكة و نحن قبل أن ننزل و نبلس الأجسام و بعد ذلك، إذ في الحالة الأولى كنا سكّان الملكوت ، فنحن نرى كل شيء كما ترى أنت الآن هذا الكتاب، أما بعد أن لبسنا الأجسام، أصبحنا بعيدين عن الملكوت، و لكي نصل إليه يجب أن نمرّ بالمجاهدات الأخلاقية و الروحية، و التأملات و الابتهالات، و ردّ الشهوات و الغفلات، "و واعدنا موسى أربعين ليلة".

و لذلك النفس المحبوسة في سجن الجسم أعظم من النفس المتحررة من حيث الحبّ و الاجتهاد، و لذلك كانت هذه الأجسام نعمة كبرى من الله، إذ بها يظهر حبنا له، و اجتهادنا في إقامة المملكة التي يجب، فيفرح بنا و يباهي بنا كما تباهي الزوجة بعظيم صنع زوجها، أو كما يباهي الأب بإنجاز ابنه العظيم.

فهذا سرّ أهمية الأنعام في الحج، و هو السفر إلى الملكوت ، تذكيرا بأمر النزول و ماهية هذه الحياة و أساس بناء المجتمع المقدس و شكرا لله على نعمة الجسم التي هي سبب الارتفاع في الدرجات و المقامات.

-.-

٦{ قوله "و لكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهكم إله واحد فله أسلموا" }

لا يوجد أجمع من هذه الآية المباركة في وصف ما قررناه سابقاً من كون كل الطقوس جوهرها واحد، و العبرة بمن عرف حقيقة الحياة فقط، فمن طاف حول شجرة و عرف الحياة خير من الذي يطوف حول الكعبة كالحمار حول قطب الرحى.

-.-

٧{ ما سرّ وجود سجدتين في سورة الحج، و ما سو كون أول مرة يذكر الحج هو في قوله "و أذّن في الناس بالحج" و هي الآية ٢٧}.

السجود دليل على الاقتراب "و اسجد و اقترب"، و الوصول إلى دين الله التام يمر بمرحلتين لا ثالث لهما، الأولى معرفة أن كل الخلق يسير بأحكام معينة إلى غاية معينة، فيجب أن نُسلّم بوجود هذه الأحكام، بعد استقراء و تأمل في الخلق، و نسلّم بوجود غاية السعادة التامة، بعد النظر في خلق الإنسان و لنمو الأشجار و غير ذلك، و لهذا كانت السجدة الأولى هي قوله "ألم تر أن الله يسجد له من في السموات و من في الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب و من يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء".

و الثانية هي الإيمان بعالم الملكوت ، محل النور التام ، و السفر الروحي إليه و العقلي، إذ منه و به نعرف ماهية الأحكام هذه و ما هي الغاية هيه، و ما دورنا في ذلك، و كل التفاصيل الأخرى، و لذلك كانت السجدة الناس لا تقول "يأيها الناس" و إنما "يأيها الذين ءامنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون".

فالسجدة الأولى وصول للإسلام، و الثانية وصول للإيمان، الأولى مجملة و الثانية مفصلة، و هذا تمام القرب.

أما كون أول ما ذكر الحج في الآية ٢٧، فإن هذا متعلق بليلة القدر، إذ يقول الله "إنما أنزلناه في ليلة القدر. و ما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر". فذكرت "ليلة القدر" ثلاث مرات، و عدد حروفها ٢٧ حرفا، فافهم التفصيل.

"القدر" لا يكون إلا في عوالم الخلق الثلاثة، لأن العالم الأول ، الخالق الأول، لا قدر له، إذ القدر حد أو غاية، فهذا الجسم قدره كذا بالطول و العرض و العمق، و قدر الطالب المجتهد النجاح بامتياز، هذه غاية، أما العالم الأول فلا حد له فهو العظيم، و لا غاية له، لأنه مبدأ كل خلق و هو نفسه الغاية من الخلق، فلم يبق القدر إلا للعوالم الثلاثة ، الملكوت و الآفاق و الأنفس.

و معرفة قدر الشئ هي معرفة لصفاته و أحكامه الناتجة من صفاته المنبثقة عنها، فإذا كان الحج هو الوصول إلى الملكوت ، محل النور التام الكاشف لكل شئ، المبين لكل شئ، و المفصل لقدر كل شئ، فإذا كون الآية هي ٢٧، يدل على ذلك تماما، إذ بحقيقة الحج و إتمامها يعرف الإنسان ماهية الملكوتو قدره ، و ماهية الآفاق و قدره، و ماهية الأنفس و قدرها، و هذا هو العلم التام "أتمم لنا نورنا" فإذاً العلم التام المحيط بالعوالم الثلاثة هو حقيقة الحج.

و السجدة الثانية هي في الآية ٧٧، و سرّ ذلك أن ٧ هو الكمال ، هو السبت ، الملكوت ، و بما أن السجدة الثانية تدلّ كما عرفت على معرفة الملكوت و الوصول إليه، لغاية و هي الإتيان بنوره إلى عالم الآفاق، حتى يتساوى عالم الملكوت و عالم الآفاق تماما ، فلذلك كانت ٧٧، فالسبعة الأولى هي كمال الملكوت، و السبعة الثانية هي كمال الآفاق و تساويه مع جميع الملكوت، و هو ما تدلّ عليه الآية في السجدة الثانية و تعلم المؤمنين أن يقوموا به.

و الحمد لله على القرءآن العظيم.

-.-

(الباب السابع : ثلاثة من رموز هذا الحج الذي تعارف عليه الناس هنا و تأويلها ، الطواف حول الكعبة، و النحر ، و حلق الشعر)

{الطواف حول بيت الله}

الطواف حركة حول محور معين، و كونه سبع مرّات يدلّ على الكمال، و كون المحور بيت الله يدلّ على أن محور هذه الحركة هو الله، فالطواف حول بيت الله سبعا يعني أن تكون كل حياتك محورها الله رب العالمين، "قل إن صلاتي و نسكي و محايي و مماتي لله رب العالمين . لا شريك له" نزيد في التفصيل فافهم.

كل أعمال الناس تنشأ أولات في عقولهم، فالفكرة أولا ، و هي الدافع للعمل، ثم العمل الذي هو أثر الحركة الفكرية في العقل، و الفكرة تتشكل بحسب الحاجة أو الرغبة، فلو احتاج جائع الطعام ولّد ذلك فكرة شواء الطعام من المطعم، فيؤدي ذلك إلى الحركة و هي الذهاب إلى المطعم، أو لو رغب إنسان سمين في أن يصبح صاحب جسم حسن، لأن الناس تتقزز منه أو لأنه يريد أن يكون جذاباً كأصحابه مثلا، و قوّة تلك الرغبة فكرة أو أفكار ، كالاشتراك في النادي و شراء معدات الرياضة و تعلم نظام للحمية. فتنشأ الحركة التي يحتاجها لإتمام هذه الرغبة، و الحاجة ما كان من ضروريات المعيشة الأربع، الطعام و اللباس و السكن و الطب، و الرغبة كل ما عدا ذلك، فإذن حاجة و رغبة يولّدان فكرة يولّدان عملا. و أمور المعيشة الضرورية لا مدح فيها و لا ذم، و يجب وجوده و تحصيلها على الكل بديهة فلا نتكلم فيها ، و إنما الأمر كله في الرغبة، رغبات الناس هي سبب اختلاف الناس، رغبات الناس سبب اختلاف الناس، رغبات الناس سبب اختلاف الناس، اعرف هذا جيدا لأنه أساس لكثير من أمور العلم و الحياة.

و إنما يقترب الناس من بعضهم البعض لتقارب صفاتهم، فمثلا لو تقابل رجل يحب الرياضة مع آخر يحب نفس هذه الرياضة سيحصل بينهم قرب، و سيشعروا و كأنهم يعرفون بعض منذ مدّة. و ذلك بعكس لو قابل رجل يكره هذه الرياضة فسيشعر أن ثمّة نفرة في نفسه من هذا الرجل، ففي عالم الأجسام القرب يعتبر بحسب المكان أما في عالم العقول فالقرب بحسب تشابه الرغبات و الصفات، و إنما تتكوّن صفات المرء بحسب رغباته، فرجل يرغب في أن يصبح نبيا مثلا ستراه هادءا وقورا دائم التأمل قليل الطعام و ما أشبه، و رجل يرغب في أن يصبح وزيرا لطاغية ستراه كالثعلب الماكر، يكيد

لمنافسيه، و ترى الكذب من عاداته الدائمة، و له مائة وجه، يصيح في العلن إذا اضطر و لا يبالي و لا يستحي، و قد يصل الأمر إلى القتل إذا اضطر لذلك في سبيل تحقيق رغبته. و هكذا لا توجد صفة في إنسان إلا و هي من نتائج رغباته في الحياة ، فإذن أساس الحياة الرغبات.

و هذه الرغبات نفسها من أين تأتي ، و ما الذي يجعل رغبة إنسان في شئ و رغبة في شئ آخر، الجواب، ما هو محور حياتك، هذا هو الذي سيولد كل رغباتك الأساسية، محور حياتك، هم رغباتك.

و لا أبالغ إذا قلت أن الإنسان ليس مخير في شئ إلا في اختيار محور حياته، فقط لا غير، و الباقي هو مُسيّر فيه مجبور عليه، و هذا هو الفرق بين البهائم و المخلوقات كلها و يعين الإنسان، لا أحد يستطيع أن يختار محور لحياته إلا الإنسان، أما الباقي فليس أمامه إلا حل واحد لا ثاني له، و هو ما خلق له ، فمحور حياة النحل صنع العسل، تبني البيوت و تسافر و تلتقي بالأزهار و تفعل كل شئ على أساس أن محور حياتها صنع العسل، و كذلك الشمس مثلا، هل تستطيع أن تقرر أن تجعل محور حياتها النكاح كالبهائم، لا ، ليس هذا في إمكانها، أما الإنسان فيستطيع أن يجعل محور حياته كأنه بهيمة أو كأنه كوكب أو اختيار إلاأن تختار محور حياتك، و الباقي متضمن في هذا المحور، و تتشكل رغباتك بحسب المحور، و من رغباتك تتشكل صفاتك، و من شابه صفاتك أحببته و من خالفها أبغضته أو كرهته و ابتعدت عنه، و بهذا يختلف الناس و ينشأ ما ينشأ بسبب ذلك.

الآن نفهم عظمة الطواف حول بيت الله، فإنه يحدد محور حياة الإنسان الحقيقي، فكما علمت أن اختيار محور الحياة هو أهم و لعله الاختيار الوحيد الحقيقي للإنسان، و لا يمكن لأحد أن لا يوجد له محور حياة، استحالة، و قد لا يعلمه و لكنه موجود، و إذا جلسنا معه قليلا و سألناه بضعة أسئلة نستطيع أن نكتشف ما هو محور حياته، و الذي لا يختار بوعي فإن مجتمعه قد فرض عليه محور ما، أو أهله و محيطه الصغير قد فرض عليه محورا ما.

و يوجد محورين لا ثالث لهما، و كل من يدبّ على هذه الأرض من البشر هو إما من أهل المحور الأول أو الثاني، لا محالة، و إن كان له حظ من هذا و حظ من هذا، فالذي يرجح في حياته يعتبر هو محورها، كالميزان، فمثلا رجل فيه كرم و فيه بخل، أيسمّى كريما أو بخيلا، إن قلنا أنه كريم ، فماذا عن البخل الذي يه، و إن قلنا أنه بخيل فقد ظلمنا إذ فيه كرم، فالحل أن ننصب ميزانا، و هذا مجرد فرض للتفهيم، ننصب ميزانا و نحسب كم مرّة كان بخيلا ، عشر مرات ، و كم مرة كان كريما ، خمسة عشر مرة، فقد رجحت كفة الكرم فيمسى كريما، كذلك الحال هنا، فما هما هذان المحوران.

الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة .

الحياة الدين كما عرّفها الله بقوله "اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد" و ختم بكلمة جامعة تصف حقيقة الحياة الدنيا من حيث وجودها في عقل الإنسان فقال "وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور".

الحياة الآخرة هي حياة الذكر و الفكر، ذكر الله، و التأمل في نفسه و خلقه و كتابه، و بناء المجتمع المقدس، باختصار هي الذكر و الفكر، أن يكون أولى ما عند الإنسان الذكر و الفكر، من حيث العمل، و لنجملها في كلمة واحدة، هي حياة التأمل، أو الصلوة.

و إذا أمعنت النظر سترى الفروق واضحة بين الحياة الدنيا و الحياة الآخرة، الحياة الدنيا هي من أمور الجسم المجردة و الأنانية، أما الحياة الآخرة فأصلها في العقل و الروح و العطاء و بناء المجتمع الكامل، أما صاحب الحياة الدنيا فلا يبالي لا بجوع ألف طفل طالما أنه يستطيع أن يفاخر الطواغيت بأن ماله أكثر منهم، و الدنيا بهائمية في حقيقتها، أما الآخرة فملائكية عقلية، إذ صاحبها يريد الملكوت ، و العلم، يريد أن يترقى في أنوا ع المعارف ، و يبني المجتمع، و يتقدم ي شؤون الحياة المختلفة ، كسليمان، أما الدني فهو كفرعون، يريد أن يتكبر و يتغلب و يقهر، و كثير من الناس فراعنة و لكنهم لم يستطيعوا أن يتفرعنوا. الدنيا تريد أن تتمتع قليلا ثم لا تبالي ماذا يحدث بعد أن تذهب، أما الآخرة فتعلم أنها في فترة عمل و بناء لعالم الآفاق، و جعله يتحد مع الملكوت ، فهو يسعى لذلك، و كل حياته فرحة بذلك، حياته تعلم و تأمل، و نقد و تحسين ، يريد أن يكمل نفس نفسه و يكمل غيره، أما الدنيا فهو يريد أن يكمل هو إن استطا ع و يفشل غيره حتى يظهر و يتفاخر عليهم.

فالدنيا الغلبة للأنانية، أما الآخرة العطاء لأكثر عدد من أفراد الإنسانية (مع حفظ الكيفية).

و إذا تعمقت في بحث الجذور التي تجعل الإنسان يختار الحياة الدنيا كمحور حياة أو الحياة العقلية فستجد أمرا واحدا هو الفاصل، هو الافصل الذي عليك و على كل من له نفس أن يختاره، هل تريد أن تجعل الأولوية في حياتك لذكر الله و التأمل في العلم، أم لا، هذا هو الاختيار الوحيد لكل الناس، لا يوجد اختيار غيره، سأكرر ذلك حتى تنفجر أذان الناس، إما أن تختار الذكر و الفكر كأساس لحياتك و محور لحركتك، و إما فمرحبا بحزب إبليس لا محالة، و من أراد أن يتأكد بنفسه فليتأكد و يجرّب، و لكني ذكرت الأمر لمن يريد أن يعلم و يستريح و يتقدس.

فهذا هو معنى الطواف حول بيت الله، أن تجعل محور حياتك ذكر الله و التأمل في أمره، و كل الأمور ستتولد عن هذا بلا أي عناء، هذه خلاصة خلاصة الحقيقية في هذه الحياة، و من لم يصل إلى ذلك فلا طواف له، و من جعل الذكر و الفكر محور حياته و أولى أولوياته فهو في طواف و لو كان غاطّا في نومه يحلم.

-.-

{النحر}

نحر البهائم هو قتل الحياة البهائمية و صفاتها، و استبدالها بالحياة الإنسانية الأرقى، و ذلك في ١٢ أمرا، من قام بهم في حياته ، و جعل حياته كذلك، فهؤلاء قد نحروا البهائم التي فيهم.
لا تقتل لتأكل. فإن الذين يسفكون الدماء ليتغذوا ما زالت فيهم وحشية. إلا قليلا بقدره المناسب صحيا.
الاعتماد الأول على أكل المزروعات، كالخضار و الفاكهة و كل ما تنبت الأرض.

أنت ما تأكل ، فلو كان و لابد من أكل اللحم فلنأكل لحم الطيور و الأسماك، أو غيره باقتضاء و ضرورة "و لحم طير مما يشتهون".
لا ننكح المحارم كالبهائم، و لذلك أظهر لنا الله محارم النكاح.
و لا ننكح بعنف و سوء كالوحوش ، و لكن بحب و رقة و لطف "لامستم النساء".
و لا ننكح لمجرد التناسل، بل للتواصل في الأساس، فليس للبهائم مشاعر حب و قرب و روحانية كالإنسان.
و لا ننكح لمجرد السفاح، و إنما عن حب و علاقة قائمة و ميثاق الزوجية الغليظ المقدس.
و ليس لنا مواسم النكاح، و إنما كلما وجد الداعي عن قلب، إلا وقت الصيام و الحج، إذ التحكم في الشهوة من أمور الإنسانية الراقية و من أهم منازل السفر الروحي، فحرية و انضباط في آن واحد يجعلان العلاقة إنسانية راقية.

لا نعمل لمعاش الدنيا و قوتها في السبت، لأن الحيوانات تعمل كل يوم لتحيا، فيكون السبت من أسباب تقديس الإنسان.

نحيا للتأمل في الله، نفسه و خلقه و كتابه، فالحيوانات هي التي تحيا لتعمل للمعاش و تعمل للمعاش لتحيا حتى يدركهم الموت أو يصيبهم القتل، و بئس الناس الذين يحيون ليعملوا للمعاش ليحيوا، و هذه دائرة السوء الكبرى، التي تؤدي إلى الاكتئاب أو الجنون أو الانتحار، أما الإنسان فالله محور حياته و سبب حبه للحيوة و تنفّسه.

لا نقتل و لا نعتدي على بعضنا البعض، كما يفعل الوحوش ليبقوا أحياءً، بل نتعاون على بناء الحياة و المجتمع المقدس كما يحب ربنا أن نكون كذلك.

لا نتفرق و لا نتحزب، كما يفعل كل جنس من الحيوانات ، فالفيل مع الفيلة و الذئب مع الذئاب، بل نحفظ هذه الأمور و نعمل للكمال في أنفسنا، و نتشاور بحسن نية لنعرف الرأى الأحسن و نعمل كإنسان واحد، و لا نتبرأ إلا من الذين هم قد اختاروا الحياة الدنيا كالبهائم إذا عاندوا و هدّدوا و اعرضوا و سببوا السوء في المجتمع.

كل واحدة من هذه الأمور هي عضو من أعضاء الحياة الدنيا البهيمية، و نحر ذلك يكون بما ذكرنا، و هذا يعلم قدره العظيم كل من يريد أن يترقى من كونه كالأنعام إلى كونه إنسانا.

-.-

{اللحية ، و قصّ شعر الرأس}

لماذا لم يكن الواجب حلق اللحية ، ما سرّ كون الحلق متوجها إلى شعر الرأس، فإذا عرفنا معنى اللحية سنعرف معنى شعر الرأس لأنه عكسه، إذ اللحية تنمو إلى جهة القلب و شعر الرأس إلى أعلى في الأصل.

اعلم أن اللحية لم تذكر في القرءآن كله إلا مرة واحدة، منسوبة لهارون عندما قال "لا تأخذ بلحيتي و لا برأسي" و بما أنك إذا أردت أن تجرّ أحدا من وجهه فإنك ستمسك أطول ما فيه أولا، فلو كان ذو شعر طويل و لكن لا لحية له فإن يدك ستتوجه إلى شعر رأسه تلقائيا، و كذلك لو كان طويل اللحية و أصلع الرأس فإنك سجرّه من لحيته أولا، فعندما قدّم هارون ذكر اللحية على الرأس عرفنا أنه كان صاحب لحية طويلة يصلح أن يُجرّ منها، فما معنى كون اللحية لم تنسب إلا إلى هارون، مع أن كل الأنبياء و الأولياء كانوا يرون و ما زالوا يرون أن اللحية من الأمور المهمة جدا في الدين.

فاعلم أن موسى كان من مقام الملكوت المجرد "إنني أنا الله لا إله إلا أنا" فكان في أعلى درجة ممكنة في نور الملكوت، فكان في قمة التجريد من حيث العلم، فكان يعرف الأشياء على حقيقتها الأولى من أعلى رتبة في الخلق، إذ كان كلامه مع الله ، الروح ، مباشرة ، و هو قمة اسم الله الآعلى ، و لذلك قيل فيه "إنك أنت الأعلى" و لذلك أيضا ذُكر في سورة الأعلى.

و بما أن عالم الآفاق هو الذي يضرب به الأمثال، الأمثال التي هي كالثوب الذي يحوي العلم المجرد، و نور الملكوت، و كان موسى من أعلى درجة في الملكوت، و لن يستطيع أن يعبر للناس عن النور العظيم إلا بضرب الأمثال من الآفاق، فلذلك احتاج إلى من يؤازره من الذين قد أحاطوا بعالم الآفاق من حيث الحقيقة، و عالم الآفاق هو اسم الرحمن، و لذلك بعث الله هارون، ألا ترى أن هارون قال لبني اسرائيل "إن ربكم الرحمن" و قال الله عنه "و وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا" فموسى رمز الملكوت، و هارون رمز على الآفاق.

و اللحية هي شعر نازل إلى جهة القلب، أى إلى الباطن، فاللحية رمز على الشعور بالباطن و معرفته و التعمق فيه. فكون هارون، رمز الآفاق، له لحية طويلة ، يدل على أنه يقول "تعمقوا في باطن عالم الآفاق هذا حتى تصلوا إلى العلم الحقيقي" و لذلك قال الله "سنريهم ءآياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد" فالعوالم الثلاثة هي في باطن عالم الآفاق، و هذا معنى اللحية، آية التعمق و التأمل و الوصول إلى العوالم الباطنية و الروحية و الإلهية.

فعكس اللحية، الباطن ، شعر الرأس ، الظاهر ، فإن كان الباطن هو الحياة الآخرة، فالظاهر هو الحياة الدنيا ، كما قال الله "يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون" فحلق شعر الرأس هو أن تمحق باطل الظواهر و تصل إلى الجواهر.

انظر في قصة موسى و العبد الصالح التي ذكرها القرءان في سورة الكهف المباركة ، ماذا فعل هذا الرجل، ركب في سفينة مساكين فخرقها، و مرّ بغلام مسكين فقتله ، و استضاف أهل قرية و هو جائع هو و صاحبه فلم يطعموهم و لم يؤوهم عندهم، فلما رأى جدارا يريد أن ينقض ذهب و عمل لهم بلا أجر، فأجهد نفسه أكثر من جهدها من السفر، و مع ذلك لم يطلب أجرا.

أترى لو أردنا أن نحكم على هذا الرجل بالظاهر ماذا سيكون حكمنا، سنقول ، حقير متكبر مفسد في الأرض مجرم سفاح عديم الإحساس و ميت القلب غبي لا عقل له، هذا حكم الظاهر، و لكن الله يقول في

هذا الذي بحسب الظاهر هو أسفل الناس في الإمكان "فوجدا عبدا من عبدانا آتيناه رحمة من عندنا و علّمناه من لدنّا علما".

فالدرس هنا هو أنه لا حكم للظاهر، لا للسطحية في النظر إلى أي شئ و التعامل معه، التعمق و التعمق الشديد هو الموصل إلى الحق و العلم النافع، و هذا معنى حلق الشعر، أن لا نرجع و نحكم بحسب الظاهر، و أن لا نكون سطحيين أغبياء في طريقة تفكيرنا و أسلوب حياتنا، بل نتعمق و نبني من الباطن إلى الظاهر، و نغوص في كل مناحي الحياة المختلفة، حتى نصل إلى جوهر كل معرفة و صفة، و نبدع فيها كأعظم ما يمكن أن نصل إليه.

فحلق الشعر هو التعمق في الحياة.

-.-

الخاتمة : "الحج عرفة".
من عرف الملكوت و فني في النفس المتعالية فقد حجّ و لو كان داخل حفرة تحت الأرض.

سبحان ربك رب العزّة عمّا يصفون . و سلام على المرسلين . و صلى الله على النبي و آله الطاهرين و الحمد لله رب العالمين.

....انتهى الكتاب و الحمد لله.

اقتصاد مجتمع المعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو هدف علم "الاقتصاد"؟ هو توفير المعيشة الطيبة لكل فرد في المجتمع. و "المعيشة" خمسة أشياء: الأكل و اللباس و الشرب و السكن و الصحة. و "الطيبة" تعني أن نطور كل واحدة من هذه الفروع الخمسة حتى تبلغ طورها الأعلى. و "لكل فرد" يعني أن لا يكون ثمة وسيط بين الفرد و حاجته، بل يأخذها مباشرة من الوزارات. و "في المجتمع" يعني أن وزاراتنا لا تهتم إلا بالناس الذين يسكنون في مجتمعنا، و لا مصلحة إلا مصلحتهم، فلا يعطون أي دولة أخرى أي شئ إلا بمقابل ينفع أفراد مجتمعنا.

الحياة شجرة لها خمسة فروع : علم النفس ، و علم الاجتماع ، و علم الاقتصاد ، و علم الحكم ، و علم الكبرياء . و لا حياة إلا لمن تعلم هذه الفروع الخمسة و أتمها. و لا يمكن الاستغناء عن واحدة منها. و بالتالي فعلم الاقتصاد يساوي خُمس الحياة. حياة من لا يفهم الاقتصاد كوجه إنسان و لكن بلا فم. و لذلك علينا أن ننفع من قوتنا لكي نغوس في هذا العلم.

رغبات الإنسان ثلاثة لا رابع لها: المعرفة ، و الزوجة ، و المعيشة . المعرفة هي أن يصبح عقله كعقل الخالق. و الزوجة هي المكملة و المرآة و طريق المتعة و كذلك الزوج للمرأة فالمقصود في الأصل هو المتعة الجنسية الكاملة، و المعيشة هي أن يشبع و يرتاح جسمانيا لكل يتفرغ للمعرفة و الروح. أي خلل في أحد هذه الرغبات الثلاث يؤدي إلى خلل في الباقي و بالتالي تنشأ الأمراض النفسية و بعد المرض يأتي الموت بأشكاله و عذابها. أما المعرفة فهي من الصلوة أي دراسة كتاب الله. فهي مجانية و لا تحتاج إلا إلى الكتاب. و لكن الكتاب يحتاج إلى عمل لإنتاجه كالورق و الحبر. و أما الزوجة فمجانية فإن الإنسان لا يُباع و يُشترى. و بالتالي ينحصر هم علم الاقتصاد في الرغبة في المعيشة. و بما أن المعيشة تأتي بحسب المنهج الاقتصادي الذي يتبعه المجتمع، و بما أن كل مجتمع سيتبع المنهج الذي يتلاءم مع أفكاره، فبذلك نريد أن نبيّن منهج مجتمع المعرفة في الاقتصاد. فتعالوا ننظر.

-.-

{ أساس أي منهج اقتصادي }

إذا حللنا كل المناهج الاقتصادي فسنرى أن أساس أي منهج هو شئ واحد فقط، و بحسب تقييمهم لهذا الشئ سيتشكل باقي المنهج. و هذا الأمر هو : كيف تُقيّم الأشياء .

أي عملية اقتصادي لها ثلاثة محاور: العمل و الانتاج و التوزيع. فمثلا في فرع "الطعام" يوجد عمل الزارع، ثم الانتاج أي الثمار، ثم الكيفية التي يستحق فيها الناس أخذ هذه الثمار كشرائها بالمال مثلا. لا خلاف على "العمل" و "الانتاج" إذ كل الناس تعمل و تنتج مهما اختلفت أفكارهم عن الحياة و مناهجهم الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية. و لكن الفرق هو في المُحور الأخير: أداة التوزيع. أي تسعير المنتجات و كيفية حصول الناس على هذه الأداة.

في منهج كل أهل الأرض اليوم هذا الأساس هو : النقود . و لكن كل هذه المناهج و التي هي في الواقع منهج واحد و إن اختلفت ألوان أفكار الناس ، كل هذا المنهج فاسد و مفسد إلى أقصى الحدود. و أما في مجتمع المعرفة فإن كل المنتجات المعيشية **مجانية.**

نعم ، كل المنتجات المعيشية الخمسة مجانية.

و بعد دراستي للأمر من جوانبه توصلت إلى أن أي مجتمع يُسعّر المعيشة بنقود هو يحيا في جهنم مباشرة. و لا أقصد جهنم بالمعنى المجازي و لكن جهنم بحق. و أيضا أن خلق اقتصاد مجاني أسهل بكثير من خلق اقتصاد النقود. أسهل بكثير. كثير جدا. و ليس كما يظن عبيد النقود، فالأمر ليس خيال و شطحات. بل هذا أمر علمي بحت، و مثبت بالبراهين الواقعية التي نعرفها كلنا و بالبراهين العقلية كذلك التي هي من حقل العقل المجرد. و أيضا أن وجود النقود هي السبب الرئيسي لكل مصيبة في المجتمع، أو هو من الأسباب الرئيسية في كل مصيبة أيا كان نوعها، و لا يوجد جانب من جوانب الحياة إلا و قد أفسده وجود النقود في النظام الاقتصادي.

فالتسعير سعير. و لذلك سُمّي "تسعير" لأنه حقا و صدقا يُسعّر نار جهنم في أي مجتمع يوجد فيه.

ففي الواقع، كل المناهج السياسية و الاقتصادية ترجع إلى أحد أصلين: إما نظام قائم على النقود، و إما نظام قائم على المجانية. و بعد ذلك لا فرق بين المناهج إلا في أمور فرعية يمكن تغيرها بسهولة. و لذلك يجب أن نحدد أساس منهجنا بقوّة و رسوخ ، و بعد ذلك ندرس باقي المسائل.و بما أن الليل قبل النهار، فسنعقد فصلا في النقود و بعد ذلك في منهج مجتمع المعرفة في الاقتصاد.

-.-

{ هدم الأساس النقدي}

نستطيع أن نعرف قيمة أي شئ، قيمته الواقعية، إذا افترضنا زواله. فمثلا إذا أردنا أن نعرف قيمة الشمس فعلينا أن نرى ماذا سيحصل لو زالت الشمس. و الجواب أننا سنموت و سيموت كل ما هو على الأرض و غير ذلك. فإذا أردنا أن نعرف قيمة النقود أيا كان شكلها فعلينا أن نُزيل النقود و نرى ماذا سيحصل.

يقول لنا أصحاب منهج النقود : إذا لم يكن ثمة نقود فإن أربعة أمور ستقع : لن يعمل الناس. و لن يُطوّروا أعمالهم و يبدعوا. و لن نستطيع أن نُقيّم الأشياء في المجتمع بمعيار موحّد. و لن نستطيع أن نُوزّع الانتاج بعدل. و بالتالي سيفسد كل شئ.

يقولون كل هذه الأمور بيقين . و يصفون أفكارهم على أنها قاعدة مطلقة. فهل هذا صحيح؟ تعالوا نراها واحدة واحدة.

١- "النقود هي المُحفِّز للوحيد للعمل". فماذا عن الأعمال الخيرية؟ ها هم بشر يقومون بأغمال بدون أن يأخذوا عليها أي نقود. بل إنهم أنفسهم يدفعون نقودا لكي يقوموا بهذه الأعمال. هذا يكفي لكسر هذه القاعدة الوهمية. ثم الأعمال الأسرية. ترى الأخ المريض يقول لأخيه: اذهب إلى محل كذا و اجلب لي كذا و اعمل كذا. و ترى الأخ يعمل. فها هي كل الأسر تعمل لبعضها بعضا بدون نقود. ثم الأعمال الدينية. ها هم مليارات من الناس في كل ناحية من نواحي الأرض يقومون كل يوم بأعمال شاقة و متقنة و مع ذلك لا يأخذون أي نقود عليها، بل في كثير من الأحيان يجمعون النقود طوال حياتهم لكل يدفعوها

للقيام بطقس ديني. و نستطيع أن نُعدد عشرات الأعمال بل مئات كلها يقوم بها الناس بدون أن يتوقعوا أو حتى يرغبوا في الحصول على نقود منها. بل إن أجمل أعمال الحياة هي أعمال لا علاقة لها بالنقود.

و العجيب أنه حتى في مجتمعات اليوم القائمة على النقود فإن الذي يعمل بحافز النقود عادة ما يكون محتقرا اجتماعيا. كالعاهرقة و ما يُسمّى عندنا "المصلحجي". إن كانت النقود الواسطة لكسب المعيشة فلماذا تحتقرونهم !

بل إن الأعمال التي يُحفّزها كسب النقود هي في الأعم الأغلب أعمال فيها ضرر و غش إذ يريد أصحابها تقليل تكاليف الانتاج. فيسيئون العمل و يضيفون مواد كيميائية و ما شابه من سموم لا لشئ رلا لكي يكسبوا المزيد من النقود. و عندما يعمل المدرس لكل يكسب النقود فهل سيُدرّس أم سيعمل أي شئ مهما كان ضعيفا إن كان سيستطيع أن يحصل على نقوده في آخر الشهر. و عندما يعمل البناء و المقاول بحافز النقود هل سيهتم بإتقان عمله أم تقليل التكاليف ليزيد كسبه مهما كان الضرر على الناس. أقولها كقاعدة و لها شواهد لا حصر لها : كل عمل مُحفّز بالنقود هو عمل فاسد . و كل الناس تعرف ذلك و تشتكي منه و لكن يظن الغافل أن سبب الفساد هو "سوء الأخلاق" أو "عدم خشية الله" أو "الأنانية" و ما أشبه من أوهام. إلا أن الحق هو أن سبب الفساد هو وجود النقود و كونه المُحفّز للعمل. و لذلك قد ترى الموظف فاشلا في عمله الذي لا يهمه منه إلا أن "يكسب لقمة العيش" و لكنه متقن في لعب الورق و كرة القدم و ما شابه من الأمور التي يقوم بها بسبب حافز آخر غير النقود بالرغم من أن هذا العمل الآخر أصعب بكثير من الوظيفة و مع ذلك يقوم به بشغف و إتقان.

فعلى العكس تماما مما يظن أصحاب منهج النقود ، فإن كون النقود حافز للعمل هو أمر سئ جداً. لماذا يتذمر الموظف من عمله و لا يتذمر صاحب العمل التطوعي أو الديني و الذي يبذل من الجهد عشرات أضعاف ما يبذله عشرة موظفين؟ من شوّه مؤسسة الزواج و العلاقة بين الذكر و الأنثى إلا النقود؟ من حرهف الدين إلا "العلماء" الذين يأخذون أجرتهم من الحكومة أو من الناس، هذا يُحرّف ليُعبّد الناس و هذا يُحرّف ليُرضي غباء الناس؟ من خلق الحروب العالمية إلا أصحاب النقود؟ من أغرق البلاد بالديون إلا البنوك أرباب النقود؟ هل مات الناس و تعذّبوا من الأمراض إلا لأن الأطباء يريدون الورق الملوّن لكي يشفوا الناس؟ هل انتشرت أكثر الجرائم إلا بسبب النقود؟ من كل عشرة مصائب في المجتمع تسعة بسبب النقود، و واحد أيضا للنقود فيه سبب بوجه أو بآخر.

فأسوأ مُحفّز للعمل هو هذا الورق الملوّن .

٢- "النقود مُحفْز الإبداع". المبدعون على مرّ التاريخ هم أناس لا يبالون بالأموال و العلاقات الاجتماعية و النفاق. بل إن أكثر المبدعين ماتوا و هم فقراء لا يكادون يجدون لقمة العيش. لكل يعمل الناس لا يحتاجون إلا إلى عقولهم و الموارد الطبيعية و جهدهم. فالورق المُلوّن لا يرسم لوحة و لا يُطوّر آلة. و هل عرفتهم يوماً أن عالما قال "لن أفكّر إلا إذا أعطيتموني نقودا" ؟ و لو وجدتم هذا المنحط، فكم نسبة المنحطين إلى الراقين؟

بل إن المبدع يموت عندما يعجبه المال. و يتوقف عطاءه من القلب و يصبح همه الكسب و بالتالي يبدأ يموت أمام الناس. و إن أكثر الناس يكرهون الذي يعبد المال خاصة إذا كان من العظماء في أعينهم. مثلا رجل الدين الذي يأخذ المال على تعليمه فإنه يسقط من أعين الناس، و كذلك الكثير من المبدعين ماتوا بسبب تحوّل عطاءهم من عطاء مدفوع من القلب إلى عطاء محدود بالكسب.

و هل اخترع الأسلحة المدمرة و المخدرات بأنواعها و الصواريخ إلا علماء مبدعين يريدون "النقود"؟ و الشركات التي تنتج الأدوية همها الكسب، و لذلك لن تلقي دواء كلفها نقوداً كثيرة في المزبلة إذا اكتشفت أنه مُضرّ. ر لهذا حوادث مشهورة كثيرة مات فيها الكثير من الناس بسبب مثل هذه الأدوية، و لقد عرفت الشركة أن الدواء مضرّ و لكن بعد أن أنتجته، فقامت بتصديره إلى دولة أخرى و كسبت نقودها العزيزة و اللعنة على كل الناس إذا كانوا سيجعلونا نخسر أموالنا. و كذلك الشركات التي تنتج كل يوم جهازاً جديداً له مدّة صلاحية معيّنة لكي يعود الناس و يشتروا منهم، إذ إن صنعهم لجهاز يصمد لمدة طويلة يؤدي إلى خسارتهم للنقود. و كذلك كل شركات الإعلان إلا قلة لا تذكر هدفها الأساسي هو جعل الناس تشتري أشياء لا تحتاجها في الواقع و لكن للترف المضر فقط.

فالنقود تقتل الإبداع النافع و الكثير من غيره. و الشاذّ لا قاعدة له. نعم قد يبدع بعض الناس لكسب النقود، و لكن هذا الإبداع لن يستفيد منه عامّة الناس، بل فقط أصحاب و ملّاك هذا الإبداع. فالذي يخترع جهازا يقلل من تكاليف الانتاج لن يُخفّض سعره إلا بالقدر الذي يجعله يغلب منافسه، و لكن إذا احتكر فلن يبالي و سيرفع الأسعار و سيتعتبر انخفاض التكاليف نعمة له خاصّة. و هذا معلوم للناس و مُشاهد يومياً.

فهذه أيضا فكرة واهية لا أساس واقعي قوي لها.

٣- "النقود ضرورة لتقييم الأشياء بمعيار واحد". كان النظام قائم على المبادلة، أنت أنتجت حديدا و أنا أنتجت تفاحا فتعطيني حديدا و أعطيك مقابله تفاحا. و هذا نظام فاشل و الكل يعلم ذلك. فتطوّر الأمر. و أصبح المال أو النقود هو الوسيط كما هو اليوم. فلكل شيئ سعر. و بالتالي لا نحتاج أن نبحث عن صاحب حديد يريد تفاحا لكي نعطيه من تفاحنا و نأخذ من حديده. و هذا أيضا نظام فاشل و سيسقط قريباً كصاحبه. و بالتالي سننتقل إلى الطور الأعلى و هو أن كل شيئ مجانّي. و لكن يقال لنا أن النقود ضرورة حتمية لتقييم الأشياء، و المفترض أن هذا التقييم عادل . فتعالوا ننظر.

حجرة مُلوّنة تُسمّى ألماس أثمن بمليون مرّة من كأس ماء نظيف. حجرة بمليون ريال. و الماء بريال. أي تقيم هذا؟ تعالوا نجلب كل ألماس العالم و نضعه في غرفة واحد ثم نحبس رجلا معها، و نتركه بلا ماء و لنرى ماذا سيفعل. هل سيبلع الحجر أم ماذا؟

مدير بنك يجلس على مكتب في غرفة مريحة و يتفلسف هنا و هناك و يوقْع أوراقا يحصل على مرتّب أكثر من مرتّب الطبيب بعشرات أو مئات المرّات. هذا يلعب بالأوراق و يدمّر المجتمع بالديون، و هذا يعالج الناس و يريحهم، و مع ذلك هذا يحصل على الملايين و هذا قد لا يحصل على عشرات الآلاف.

رجال الحكومة و أبناءهم لا يعلمون شيئاً ينفع أو ينتج أي من فروع المعيشة الخمسة و لاغيرها و مع ذلك يملكون من هذا الورق الملوّن ما يمكّنهم من شراء أي شئ سواء كان منتجا أو بشرا، و لكن العامل الذي يكدح ١٥ ساعة في اليوم قد لا يملك أن يسدد فواتيره الأساسية.

هل أحتاج أن أُكمل؟ لا أظنّ. الذي يتبجّحون به هو معيار غبي لا أساس له في أي شئ. على أي أساس تقولون أن كذا يساوي واحد و كذا يساوي ألف ؟ لا تقولوا " بحسب طلب الناس" لأن عدد الذين يطلبون الحجر الملوّن قلة و مع ذلك هو أغلى شئ ، و عدد الذين يريدون الماء كثرة و مع ذلك هو أرخص شئ عادة. و لا تقولوا "بحسب الندرة" لأنه يوجد الكثير من الأشياء النادرة و مع ذلك لا قيمة لها. و قد يُقال " بحسب العرض و الطلب معا " و هذا لا يظهر إلا في حالات نادرة يمكن أن نفترض اجتماع جميع أهل الطلب و جميع أهل العرض في محل واحد أو يتّصل أمرهم ببعض ، و معلوم أنه حتى في الأسواق المالية العالمية لا يتّصل بهذه الأسواق إلا بعض الناس لا كلّهم ، و قلّة قليلة جدا منهم ، و كذلك هذا لا يفسّر وجود أسعار في الأسواق الشيوعية أو حين تُسعّر الحكومة الشئ بالفرض الإداري . و مهما كان ، فإن وضع سعر على أي شئ هو عملية عشوائية في أصلها، و صاحب الشئ هو المستبد الذي يملك أن يُسمّى سعره، كالعاهرة التي تقول "سعري ١٠" أو "سعري ١٠٠،٠٠٠" أمر شخصي بحت .

الشئ الوحيد الذي يسبق الانتاج هو العمل. نحن لا نخلق الموارد الطبيعية و لكن نستعمها و نُغيّر فيها. فالمتغيّر في معادلة الانتاج هو العمل البشري. فقيمة الانتاج ، لو كان الانتاج سيتمّ ، يجب أن تكون مستمدة من العمل. و لكن الواقع الحالي أن أفقر طبقة في المجتمع هي الطبقة التي تستخرج كل شئ! الطاغية الذي يدعي أنه صاحب المزرعة يجلس في بيته و يكسب كل شئ و العمّال في هذه المزرعة يكاد أحدهم لا يحصل إلا على ما يكفيه أن يعيش هو و أهله بالرغم من أنه و إخوانه هم الذين استخرجوا كل هذه الثروة التي يتنعّم بها الطاغية.

نظام الأسعار من أوله مبني على هوى مستخرج الانتاج. فلو كان محتكراً فله أن يفعل ما يشاء.و لو كان منافساً فهمّه الحصول على أكبر ربح. و بالتالي، فإنه إن لم يستطع أن يرفع قيمة السلعة فإنه سيعمل على تخفيض تكاليف انتاجها، و هذا يعني زيادة الشقاء في العمل، و تخفيض أجور العمّال، و جلب موارد أرخص و لو كان فيها ضرر على الناس المستهلكين.

فوجود الأسعار هو سبب شقاء العمّال، و صعوبة المعيشة، و انخفاض الجودة. و بالتالي إذا زالت الأسعار فهذه الثلاثة ستزول و يأتي عكسها إن اكتمل امنهج في عقول الناس و عملوا به.

٤- "لن نستطيع أن نُوزْع الانتاج بعدل بدون النقود". ما المقصود "بعدل" ؟ العدل هو أن يأخذ الإنسان من المجتمع بقدر ما أضاف إليه. فعندما تملك ورقة نقود تقول "١٠٠ ريال" فهذا يعني أنك أضفت إلى المجتمع من الانتاج بقيمة "١٠٠ ريال". فهل هذا هو الواقع ؟ بالطبع لا . أقلّ الناس انتاجا هم أكثر الناس مالا. و أوّل هؤلاء هم أصحاب البنوك المركزية و غيرها.

فهؤلاء يملكون مطابع المال، و يكسبون أموالهم من الربا و الديون و الاستيلاء على أملاك الناس، و لا يضيفون إلى المجتمع شئ في واقع الأمر، و مع ذلك يملكون كل المال لشراء أي شئ. و كما قلنا من قبل ، فإن رجال الحكومة، أو قل النتثلين المحترفين لا يزرعون و لا يبنون و لا يشفون و لا يصلحون و مع ذلك هم و أزواجهم و أبناءهم يملكون كل شئ. إذ بالطبع لن ترضى الحكومة أن يطبع أحد المال إلا لو كان سيعطيهم من الأموال ما يشاؤون. فهو في نهاية الأمر ورق ملوّن. و لكن الفرق أن الحكومات تدعم هذا الورق بقوّة الجيش و الأمر المطاع. فالمصارف تقوم كما يقوم مزوّري العملات بخلق ورق معيّن قبله الناس أن يكون وسيطا للتبادل. و بالتالي يسرقون جهود الناس و يعذبّونهم في تحصيلهم لمعيشتهم عندما يعطونهم هذا الورق و يأخون إنتاجهم.

الحكومة ليست كما يظنّ الناس و يضعون تعريفات كثيرة لأنواع الحكومات، و هذا كله تضليل قبله الناس و اعتادوا عليه. تعريف الحكومة الواقعي هو هذا : مجموعة أفراد رسخت لنفسها السلطة لطباعة النقود وحدها. و بذلك يعمل الناس و تأخذ هذه المجموعة كل شئ، لأنهم يملكون أداة الحصول على كب شئ ، أي "النقود". و كل المسرحيات التي تقوم بها الحكومات في كل مكان ما هي إلا لتضليل الناس عن هذه الحقيقة. فكر في الأمر. ماذا تملك أي حكومة في الواقع غير طباعة النقود الذي هو الوسيلة لشراء كل شئ في الواقع؟

الحكومة هي النقود التي تطبعها. و الباقي كله أفلام و مسرحيات. بعضها مسرحيات مرعبة و بعضها مضحكة لتسلية الناس و إلهائهم عن واقع الأمر. و كما أن بعض الممثلين يجتمعون في فيلم واحد، فكذلك يمثل بعض الناس من هنا و هناك ليعرضوا على الناس أفلام، و لذلك يصورونهم و يعلنون ذلك. و إلا فهل سمحوا يوما بوجود كاميرا في "الاجتماعات المغلقة" ؟ إني أراهن على أن هذه المجتمعات المغلقة هي جلسات ضحك و لعب الشطرنج و ما شابه، و لعل بعض النساء يزتي لكي يعرضوا عليهم بعض..."القضايا المهمة".

و أما لو كان "بعدل" يعني أن نعطي كل إنسان بقدر جهده الذي بذله. فإذن يجب أن يموت كل الأطفال لأنهم لا يبذلون أي جهد. و كذلك كل الشيوخ. و كذلك كل طلاب المدارس. و كذلك كل المرضى المزمنين.

و أما لو كان "بعدل" يعني أن نعطي كل إنسان على قدر حاجته. فهذا لا يحتاج إلى وجود نقود، بل عندها سيكون وجود النقود سبب لموت المجتمع و مرضه. إذ قد يكفي الإنسان "١٠٠٠ ريال" في الشهر، و لكنه يملك مليون . فيقوم بحسب باقي المليون من التداول، و بالتالي ينزف جسم المجتمع. و كلنا أو أكثرنا يعرف عن التجار الذين يملكون مليارات في الحسابات و هم من أبخل الناس. و لعلك إذا رأيته في الشارع تظنه لا يملك قوت يومه. و الإنسان يأخذ بقدر حاجته في بيته و لا حاجة للنقود. فهل يوجد في بيتك أيها السامع أي نظام نقدي و لا يمكنك أن تفتح الثلاجة لتفتح أو تشرب إذا دفعت مالًا لأبيك الذي جلب الطعام إلى البيت؟ كلنا نعيش في بيوتنا تحت ظل النظام الاقتصادي لمجتمع المعرفة، و لكن مجتمعنا هو جحيم. فنحن لم نبتكر نظاماً من العدم أو نحلم أحلاماً و نريد تطبيقها. كلنا نعيش في بيوتنا تحت هذا النظام المجاني. فما نريده هو أن نحوّل مجتمعنا إلى بيت كبير. اقتصاد المعرفة هو نظام الأسرة في أصله.

فالتوزيع عقلياً و واقعياً يجب أن يكون على أساس المنفعة الواقعية فقط ، الحاجة .

الإنسان مدفوع بالكبر. فإذا منعته عن شئ إنه سيرغب في هذا الشئ. و بعد أن يحصل عليه سيرفضه لو لم يكن يحتاجه. و هل قصة آدم غريبة عنكم. كل ثمار الجنة حلال، إلا شجرة واحدة، ترك كل الحلال و لم يرد إلا الشجرة و لو كان بعصيان رب العزّة. فهل سيبالي الناس بعصيان قانون أو بشر حقير في سبيل تحصيل ما مُنع منه؟ و لكن من الجهة الأخرى في البيت يوجد كل شئ مجّاناً. و ترى الأم تصرخ في وجه ابنها لكي يأكل فيمتنع. فسبحان الله. يقول الواهم "لو جعلنا المنتجات مجّانية فسيأخذ كل أحد كل شئ و يتضارب الناس" (ملحوظة : هذه أقوى حجّة ضد نظام المجّانية هذا) أقول "هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" . لماذا ترسلون الكلام إرسالًا بلا أي حجة و تتوقعون أن نصدقكم، و لكن إذا ذكرنا نحن فكرة واحدة فتطالبون بعشرات البراهين. أفكاركم تافهة سفيهة مثل نفوسكم و مع ذلك فإن سعة صدورنا تجعلنا نناقش أفكاركم و كأنها جديرة بالبحث. و أفكارنا واقعية تعيشونها كل يوم و مع ذلك تنكرونها و تطالبون بالبرهان. حسناً، دعونا نتنزّل و ننظر إليكم قليلًا.

هل أنت يا صاحب هذا الاعتراض تذهب إلى ثلاجة بيتك و تجمع كل الطعام و تُخبئه في خزانة غرفتك؟ لو علمتم أحدا يفعل ذلك لذهبت به إلى طبيب نفساني. ثم لماذا سيأخذ فوق حاجته؟ لا يخزن المال إلا من يخشى أن يأتي يوم يحتاج فيه إلى هذا المال. فإذا كان كل الانتاج دوماً مجّاني، فمم تخاف إذاً.

سر هذا الاعتراض هو واقع التفرقة بين الناس الذي خلّفه النقود. و بحكم العادة ما يزال في لاشعور البعض أن الناس متفرّقين و متعادين. و هذا صحيح لأن النقود تخلق العداوة بطبيعتها. و لكن إذا زالت و أصبح كل شئ مجّاني فلن يكون ثمّة محل لمثل هذه الاعتراضات. فكّر في الأمر قليلا و سترى.

التوزيع العادل متحقق فقط في الاقتصاد المجاني.

و لأهل القرءان أذكر و أقول: اقتصاد النقود يخلق أعداء و مستضعفين . و لكن اقتصاد العطاء يخلق إخواناً على سرر متقابلين.

فإذن نخلص إلى هذا : إما أن يحترق الناس و إما أن يحرق الناس كل النقود.

من هو الذي يعارض زوال النقود؟ إما صاحب نقود، و إما من يأمل أن يملك هو النقود يوماً ما و يحرق الناس لفرحة نفسه القليلة. و بالطبع لا نتوقع غير ذلك إذ الإنسان أناني لا يبالي بغير نفسه. نعم من يريد منهج النقود و منهج المجان كلاهما أناني. و لكن منهج النقود يُفرح قلة و يُعذّب كثرة دائماً و أبداً. و منهج المجّان سيفرح الكثرة و يعذب قلة قليلة جدا لا تُذكر. و بالتالي فإن أنصار اقتصاد المعرفة هم الكثرة الغالبة في كل مجتمع. و اللعنة على القلة الحقيرة في سبيل فرحة الكثرة و ارتقائهم. و سيزول القلّة بزوال النقود.

لا يتوقع أحد أن يحلم أن أصحاب النقود سيحرقون نقودهم. فهذا مستحيل حتى في أغرب الأحلام و لو نمت بعد عشاء كبير. و هذا بديهي و مسلم به. و لكن الطريق إلى ذلك هو أن لا يعترف الكثرة بالنقود.

فقط. و سيزول النظام كله. فاعتبروا النقود الحالية كالنقود المزوّرة، هل تقبلونها؟ هذا هو باب قتل الجبارين. فإذا دخلتموه فإنكم غالبون.

هذا الكثرة هو سبب خلق اقتصاد المعرفة . و عقل القلة من العلماء سيدفعهم إلى خلق اقتصاد المعرفة حتى لو كانوا من أصحاب النقود و من المنتفعين بهذا النظام. و لكن مع ذلك فالمعوّل عليه هو عذاب أكثر الناس في المجتمع.

و ليعلم الكثرة في أي مجتمع أمرين : لا تحلموا بأن يتحسن حالكم تحت ظل نظام النقود، لأن النظام في صلبه يوجب على القلة أن تستقل و تسرق الكثرة العاملة، و من هنا يكسبون فأعيد و أكرر إما أن تصبروا و تستمرؤوا العذاب و الكدح و الفساد الذي أنتم فيه الآن و إما أن ترغبوا في حرق كل النقود و أخذ اقتصاد المعرفة كله.

و ثانيا، اعلموا أن راحتكم لن تتم بأن تسرقوا النقود، و كذلك لن تتم بأن تثوروا على أحد أو تقتلوا أحدا أو تستعملوا أي عنف جسماني. هذا لا علاقة له بالأمر. الأمر أبسط من ذلك. فقط لا تطيعوا هذه الورقة الملونة، و اعتبروها كأي ورقة ملوّنة رسمها طفل صغير، انظروا إليها اضحكوا ثم ألقوها بعيداً. و عندما يرغب الكثرة في شئ فإنه سيتحقق.

-.-

{اقتصاد المعرفة}

١- (غاية العمل هي أن لا نعمل). فالحياة ثلاث : علم و زواج و معايش. أما العلم فدراسة كتاب الله. و أما المعايش فهي الطعام و اللباس و الشراب و المسكن و الصحة، و هذا ما يهتم به الاقتصاد. و أما الزواج فهو أن يجتمع الذكر العامل للعلم مع الأنثى العاملة للمعيشة. و هذا هو أصل و قاعدة مجتمع المعرفة.

فالمعايش مجرد وسيلة لإبقاء الجسم حيا صحيحاً. و ليست للهو و لا للزينة و لا للعب و لا للتفاخر و لا للتكاثر في الأموال و الأولاد. باختصار ليست للشعور بالكبرياء و الفرحة. و لكن للراحة فقط. و هذه هي القاعدة التي تحكم كل عملنا للمعيشة. و عملهم هذا مبرر إذ لا يملكون العلم الذي نملكه نحن العرب، أي عقل الخالق المتعالي. نحن نستمد شعورنا بالكبرياء من كوننا خلفاء الخالق الأعلى الذين يملكون روحه و عقله. و نستمد فرحتنا من هنا و من علاقتنا الزوجية و معاشرتنا لزوجاتنا و معاشرتهم لنا. و لذلك نرى أن السفهاء من البشر هم الذين يستمدون كبرياءهم و فرحتهم من أمور المعيشة. و لذلك تهلك معايشهم و مجتماعتهم.

فمثلا، الطعام عندنا محكوم أولا بقاعدة الصحة لا غير. فلا نبالي بمظاهر الزينة و لا الامتياز الطبقي و اختلاق المسرحيات التمثيلية و التكلفات التافهة لكي نُرضي شيئا من رغبتنا في الكبرياء عن طريق رفع أنفسنا على الفقرآء و الذين لا يملكون نفس عقولنا التفاهة لكي يجارونا في تفاهاتنا. فطالما أن الطعام صحي و أجسامنا قوية فلا نبالي بغير ذلك. و هذا هو الحق الأكمل. إذ الغاية من الطعام هي الصحة و

القوة لا غير. و الباقي أوهام فكرية لا غير. و كذلك نجري في أمور المعيشة الخمسة. فنجعل كل أمر محكوم بحسب الغاية منه لا غير.

و بناء على ذلك. فنحن لا يهمنا من أمور المعيشة إلا أن تكون أجسامنا صحيحة و مرتاحة. و بعد ذلك نذهب و نفرح و نستمتع بالعلم و الزواج، و بذلك نحيا حياة عميقة و بسيطة. و هذا معنى "غاية العمل أن لا نعمل". فنحن نهدف إلى الوصول إلى حالة لا نحتاج فيها إلى العمل للمعيشة مطلقاً. و نعم قد يكون هذا شبه مستحيل، و لكن جعل الهدف عالياً يجعلنا نقفز إلى أعلى ما يمكن، و في ظل الاختراعات الجديدة يظهر أن هذا الهدف ليس بعيداً جداً كما يظن البعض. خاصة إذا أسسنا حياتنا و اقتصادنا على معادلة "عزم" أي علم و زواج و معايش التي ذكرناها كثيراً.

٢-(الآلات عبيد الناس). فأي عمل يمكن أن نستبدله بآلة يجب أن نقوم بذلك بدون تردد. فنلغي أي عمل روتيني، و أي عمل لا نفع واقعي فيه. و بسبب تطور الآلات هذا سنخلق أزمات لن يستطيع المجتمع أن يخرج منها إلا عن طريق تأسيس الاقتصاد على قاعدة عدم وجود أي نوع من النقود أو وسيط التداول. و ذلك لأن تطور الآلات يؤدي إلى الاستغناء عن العمل و الموظفين. و بالتالي تتسوع دائرة البطالة. و كلما تطورت الآلات توسعت البطالة. فما المخرج ؟ حيث إن العمل سبب كسب النقود. و النقود سبب الحصول على المعيشة، و بالتالي عاجلًا أم آجلًا تتفجر الثورات في كل مكان. إما ثورات على الآلات، و إما ثورات على النظام الاقتصادي و الحكومات. فأما الثورة على الآلات فغباء محض، إذ هي وسيلة للراحة للناس و هو ما نهدف له كلنا أصلًا، فليست الآلات هي جذر الأزمة، و لكن وجود النقود كوسيط للتبادل. و سيدرك الناس هذا. و لذلك لن يجدوا إلا أن يثوروا على النظام الاقتصادي القائم على النقود بأنواعها. و هذا هو مجتمع المعرفة من حيث الأصل.

٣- و لكن لماذا لا نبقي على "وسيط التبادل" في أي صورة، و لكن نجعل النقود مستندة على ساعات العمل؟ تعالوا ننظر في هذه الفكرة فإنها جديرة بالدراسة. إذ هي الاحتمال الوحيد الأحسن قبل إلغاء فكرة النقود أو "وسيط التبادل" بالكلية.

أولا، قد يقال أن تفاوت الجهد و العمق في الأعمال المختلفة يجب أن يؤدي إلى اختلاف قيمة الساعة من العمل. فمثلا ساعة من عمل طبيب جراح لا شك أنها أغلى و أثمن من قيمة ساعة من عمل فلاح. هذه الفكرة غير صحيحة على الإطلاق. بالرغم من جمالها الظاهري و المنطق العامي المسبوغ عليها. فبكل بساطة، إذا لم يعمل هذا الفلاح و ينتج الطعام لمات هذا الطبيب جوعاً. و كذلك دعونا نجرب أن نحبس كل الأطعام لمدة شهرين و نرى ما مقدار الضرر الحاصل، ثم دعونا نحبس كل عمال النظافة و الصرف الصحي لمدة أسبوعين و نرى ماذا سيحصل. قد يعبث أكثر الناس، خاصة الذين يقومون بالصحة الوقائية، لسنوات دون الحاجة إلى طبيب، و لكن لو لو لم يأت عامل النظافة إذا مرض فلن ينفعه إلا الطبيب. فإذن لا فرق بين ساعات العمل. كل الأعمال لها نفس درجة الأهمية، إذ لا يمكن إزالة عمل إلا و سنرى اختلال الحياة كلها. و لا ننسى أن القلب ليس أشرف من الكبد و لا الكبد أشرف من الكلية. فانزع الكبد و أروني ماذا سينفعكم القلب.

كل ساعات الحياة هي ساعات من الحياة. و على ذلك يمكن أن نقيّم الساعة بمعيار موضوعي يشمل الكل. و على ذلك يكون المال مستند لا على حجر و لا على هوى. و لكن على واقع من الحياة. أي ساعة ساعة عمل.

احفظ هذه الفكرة قليلًا. و دعوني أشرح ساعات العمل و نظامها في اقتصادنا هذا. و للمعلومية فإني استوحيته من كتاب الله، من سورة فصلت، من الآيات التي تفصل خلق الله للعالم في ستة أيام، و من سورة يوسف، و غير ذلك. (تنبيه: و الاستيحاء ليست باستنباط فالقول قولي لا قول القرءآن فالخطأ و عدم الدقة و وجود الأحسن لا يعني إلا قصوري).

-.-

(عقل العمل)

٤- للعمل دررات. كل دورة تتكون من ١٥ سنة. ٧ سنوات و ٧ سنوات و عام. و العمل يكون في النهار. من بعد طلوع الشمس إلى قبل غروبها كحد أقصى مع راحة ساعة في الظهيرة. و في السنة ١٢ شهراً، ٨ أشهر عمل، و ٤ أشهر راحة . و في اليوم فترتين للعمل ، الفترة الصباحة من بعد طلوع الشمس إلى الظهيرة، و الفترة الثانية من بعد الظهيرة إلى قبل غروب الشمس. و يوجد في الأسبوع خمس أيام عمل كحدّ أقصى، ٤ أيام فترتين كحد أقصى و يوم واحد فترة واحدة و هي للتفكير في التطوير. و الحد الأدنى للعمل يومين لمدة فترة واحدة كل يوم زائد فترة التطوير في يوم آخر. أيام العمل من الأحد إلى الخميس، و يوم الخميس هو يوم فترة التفكير في التطوير. فهذه هي القاعدة العامة لنظام العمل. و معلوم أنه في الضرورة تُخالف القاعدة العامة.

أوّل سبع سنوات تكون العمل بالحدّ الأقصى، أي فترتين لأربعة أيام زائد فترة التطوير من اليم الخامس. ثم ثاني سبع سنوات يكون العمل بالحد الأدنى، أي فترتين ليومين زائد فترة التطوير من يوم ثالث. ثم إذا أبلى العمال بلاءاً حسناً و فاض الانتاج فيمكن أن يُعفى الناس من العمل لمدّة عام. و هذه فكرة جديرة بالنظر.

و بما أن العمل الصباحي أصعب لكون الإنسان عامّة يكره الاستيقاظ المبكّر و يحب السهر للعلم أو لما يشاء، خاصة أهل العلم الذين أرشهم الله إلى قيام الليل للدراسة، فنجعل قيمة ساعة الصباح أعلى من قيمة الساعة من الفترة الثانية. و لكن ألم نثبت أنه لا فرق بين ساعة و ساعة؟ فإذن يجب أن نرفض هذا التمييز المبني على رأي شخصي و نسبي. فمن الناس من يحب الاستيقاظ صباحاً و يكره العمل بعد الظهيرة، و العكس كذلك. فنبقى على قولنا الأول، و هو أن الساعة تساوي الساعة، إذ الحياة واحدة، فالذي يقتل عالما يُقتل قصاصا و كذلك الذي يقتل جاهلا يُقتل قصاصا.

فماذا عن عقد العمل؟ تقسم الأعمال بحسب حاجة المجتمع و التي تحددها الوزارات. و يجب أن يوجد خمس وزارات أساسية. كل واحدة تهتم بأحد فروع المعيشة. و تحدد الوزارة ما يحتاجه المجتمع. و القاعدة هي أن الوزارة تحدد حاجة الناس و تعرضها عليهم. و الناس تعمل لتلبية حاجاتها.

و قد علمنا أنه في الأسبوع ٤ أيام عمل و يوم تطوير، و كل يوم يحوي فترتين، و التطوير فترة، فإذن في الأسبوع كحد أقصى (٩ فترات) عمل.

و تعمل الوزارة على صياغة (عقد العمل بحسب الفترات) و تحدد فيه ثلاثة أمور: ماهية العمل المطلوب، و عدد ساعاته أو (فتراته) الأسبوعية، و مدة العقد (عدد الشهور أو السنين أو الأسابيع أيا كان). ثم على الناس أن تنظر و تختار، فإذا اختار أحدهم و قبل بالعقل فيجب أن يضمن الالتزام بأن يجعل على نفسه العدوان إن هو أخلّ بالالتزام. و ذلك فقط ليكون قاتلا للتخاذل و تغيير الرأي و التردد. و يجب أن تكون كل العقود محكومة بشرطين أساسيين: عدم المشقة قدر الإمكان ، فليست الغاية هي مجرد إبقاء العمال بلا فائدة ليتموا شروطاً شكلية وثنية و لكن محكومة بالواقع الموضوعي ، و الإحسان في بيئة العمل من كل النواحي .

في العمل للمعيشة تكون الأولوية للأنثى على الذكر إذا تساووا في الكفاءة. و يفضل دائما أن لا يعمل الذكور للمعيشة لأنه على الرجل أن يعمل للعلم في الأصل. و بذلك يتم الزواج. فالقاعدة هي أولوية الأنثى للعمل للمعيشة.

٥- دعونا نعود الآن إلى مسألة وجود النقود و لكن جعلها تستند إلى ساعة العمل.

الإنسان يأخذن من المعيشة بقدر حاجته في الحالة السوية و عدم الحرمان و الشعور بالقصور. و إذا احتاج الإنسان إلى شئ و لم يستطع أن يحصله بطريقة مشروعة قانونيا فإنه سيحصله بطريقة غير قانونية، و أضف إلى ذلك أنه سيتأثر كل هيكله النفسي بهذا النقص و الجرم. و بناء على ذلك يجب أن يكون الأخذ من المعيشة ليس مبنيا على أوهام و لكن على الواقع الفعلي للناس. و لذلك المضطر الذي يسرق لا يُعاقب.

تظهر إشكاليات كثيرة من وجود النقود أيا كانت و مهما كان مستندها. و هي هي نفس الإشكالات الحالية. و إذا كان في ظل النظام الاقتصادي الحالي و الذي يعتبر متدنيا جداً بالنسبة لمجتمع راقي و لو قليلًا، مع ذلك توجد نسبة عالية من البطالة بسبب عدم الحاجة إلى العمّال. و في واقع الحال فإن العمّال الحقيقيين الذين يبقون أجسامنا حية لا يشكلون نسبة أعلى من ١٠-٢٠٪ من كل سكان العالم. فما ظنك لو تغير نظام التفاهة الحالي و ازداد العمل على تطوير الآلات، و فهم الناس حقيقة الأمر و أسباب الفرحة؟ لعلنا لا نحتاج إلى أكثر من ٥٪ من الناس لكي يوفروا أسباب المعيشة الراقية للناس. فلو جعلنا ساعات العمل سببا لكسب النقود، فمن أين سيكسب باقي ال٩٥٪ ؟ (ملحوظة :من هنا تفهم سبب قول بعض المفكرين الغربيين - "الشيطانيين" - أنهم يريدون إبادة معظم البشرية لأنهم "لا حاجة لهم" ، فتأمل تفرّع القضايا بعضهم على بعض. فأن تذمّ هؤلاء "الشياطين" بدون أن تذمّ ما شيطنهم في الأصل هو شيطنة منك). إن وجود ١٠-٢٠٪ من العاطلين كفيل بخلق مجتمع من المجرمين فما ظنك بأضعاف ذلك.

ثم ها نحن قد وجدنا معياراً لتقييم النقود ، و لو كبداية فقط ، فكيف سنستطيع أن نُقيّم الأشياء؟ و تقييم المنتجات سيؤدي إلى جعل العمل محكوم بالربح بدل المنفعة الواقعية، و ذلك طريق جهنم التي نسكن نحن في ظلالها اليوم.

فتغيير مستند النقود لن يغير إلا القشور. فلا فرق بين نقود مدعومة بحجر ملوّن اسمه ذهب، أو جيش مسلح، أو ساعات عمل. مجرد وجود سبب غير الحاجة الواقعية لكسب المعيشة فهذا يعني السقوط في جهنم. و لعل الاختلاف بينهم هو كالاختلاف بين منازل الكفار و المنافقين ، فهذا في الدركة الثالثة و ذاك في الدرك الأسفل و هكذا.

و لكن ما الذي سيدفع الناس إلى العمل و قبول التعاقد ؟ هذه الحجة كما بيّنا من قبل هي من الأوهام التي يقوم عليها النظام الاقتصادي التافه و الذي سيسقط قريبا كما قال الله. {الحاجة هي التي تدفع الناس للعمل}. و ما النقود إلا وسيط لنيل هذه الحاجة. فالحاجة مثل رضا الله، و النقود مثل الأوثان التي ما يعبدها الناس إلا لتقربهم إلى الله زلفى. فإذا كنت تستطيع أن تكسب رضا الله مباشرة، فلا حاجة للأوثان.

و هذا هو الواقع الفعلي. الناس تعمل بسبب الحاجة. كالذي يدرس كتاب الله، ما الذي يدفعه إلى ذلك؟ كسب النقود؟ أم أنه يريد حياة قلبه؟ فكذلك التي تعمل للمعيشة يدفعها إلى ذلك حياة الجسم. المتعة هي دفاع الناس. متعة القلب تدفع الناس إلى الدين، و متعة الجسم تدفع الناس إلى عقد العمل.

{أساس اقتصادنا مبني على مواردنا الطبيعية الفعلية}. فنعمل على الانتفاع بها بقدر ما نحتاج. ثم إذا فاض فائض فنستطيع أن نقود بأحد أمرين: إما أن نخزنه لكي نرتاح من العمل لمدة من الزمن. أو نبادله مع مجتمع آخر و نأخذ ما نحتاج إليه منهم. و القاعدة هي أن الاكتفاء الذاتي غاية من غاياتنا الأساسية (حتى لو لم نصل إليه في الخارج).

٦- كيف نتعامل مع الدول الأخرى ؟ نعمل على اكتساب أمرين منهم : ما نفتقر إليه من أمور المعيشة الضرورية. و ما وصلوا إليه من تطورات آلية و علمية. و نعطيهم مقابل ذلك أحد ثلاثة أمور على هذا التسلسل : أمور الزينة التي يعبدونها، و ما وصلنا إليه من تطور و علم ، و فائض انتاجنا الذي لا نحتاج إليه.

فمثلا، إذا كان عندنا زينة من مجوهرات و ما شابه أو تحف أثرية و أمثال هذه التفاهات الثمينة في نظرهم. فنعمل على إعطائهم إياها في مقابل شراء أراضٍ عندهم لكي نكسب منها، و نعمل على الحصول على أعلى سعر منهم. فإن الكتاب قد أجاز لنا ركوب البغال و الحمير. و كذلك نعمل على استقطاب علماءهم إلينا لكي يطوروا آلاتنا و ما نحتاج إليه. فأن يقوم الثور بحرث الأرض خير من أن يحرثها أحد الملوك.

ثم ما وصلنا إليه من تطور. إذ نحن لن نخسر شيئا بإعطائهم إياه و لكن سنكسبه منهم مثله أو أكثر. ثم إننا سنكسب أيضا من حيث إنهم سيستفيدون من علمنا ليتطوروا و بالتالي نستفيد نحن منهم

لاحقا. و نعمل على عقد معاهدات لتبادل العلم قدر الإمكان. و القاعدة عندنا أننا لا نكتم العلم . فنعمل على الانتفاع به.

ثم في الحالات القصوى التي لا نملك عنها محيداً، نجيز لأنفسنا أن نبادل أمور المعيشة الأساسية لكي نحصل على ما ينفعنا مما ينقصنا. و ذلك بالطبع من فائض ما نلك.

و نهتم كذلك بأمور السياحة و استقطاب الأجانب و تنظيم أمثال هذه الأمور لننتفع بهدف تطوير حياتنا عامة. و ندبر طرف ذلك. إذ هؤلاء يهتمون برؤية ما يسمى "الآثار التاريخية" و ما شابه، فنعطيهم من هذه الأمور و نكسب نحن المنفعة الواقعية.

٧- إن كل من له عقل و عين ترى العواقب سيدرك أننا لو عملنا بهذا النظام العميق البسيط. و ما أسهل العمل به، فإننا سنحيا حياة الملوك، بل و سنكون من أقوى دول الأرض في مدة لا تزيد عن ٤٠ سنة، بل أقل. و لن تستطيع دولة أن تذلنا بدَيْن و لا بتملك أراضينا و لا شئ. هذا غير الرفاهية المعيشية التي لن نلبث حتى نراها انتشرت في كل مكان. و سيكون المجتمع كبيت من أسرة كبيرة (في أمور المال).

.............———-..............

انتهى الكتاب و لله الحمد رب العالمين .